

عارف حجاوي

جولة في
خريطة
العالم
السياسية



جولة في خريطة العالم السياسية

تأليف: عارف حجاوي

جولة في خريطة العالم السياسية

تأليف: عارف حجاوي

طُبع هذا الكتاب بمركز تطوير الإعلام في جامعة بيرزيت، في العام 2017 بدعم من وكالة التنمية الدولية السويدية «سيدا». والكتاب ملكية حصرية للمركز والجامعة، وحقوق نشره أو اقتباسه تخضع للملكية الفكرية، والآراء الواردة فيه لا تعبر بالضرورة عن الجامعة.



مركز تطوير الإعلام- جامعة بيرزيت: mdc.birzeit.edu
هاتف: 2982989 . فاكس: 2982180

صورة الغلاف هي خريطة العالم كما رسمها العالم المسلم محمد الإدريسي (ت 1166م)، والخريطة مقلوبة لاعتقاد الناس أيامها أن الجنوب في الأعلى.

التصميم الجرافيكي: عاصم ناصر

الطبعة الأولى، رام الله، تشرين الثاني 2017

مقدمة

غاية ما يهدف إليه هذا الكتاب أن يكون قراءة نافعة، وتنبهها إلى مسائل في السياسة والجغرافيا، وهو يتوجه بالخطاب إلى الصحفي بشكل رئيسي. في البداية حديث عن مصادر الصحفي، ولا يخلو هذا الحديث من نصائح، اجترأ الكاتب أن يسوقها فقط لأنه خنق الستين. نشر هذا الكتاب قبل أشهر معهد الجزيرة للإعلام، وهذه الطبعة المزيّدة تنشر عن مركز تطوير الإعلام في جامعة بيرزيت. زيد فيها شيء عن فلسطين، وقليل مما طرأ على الدنيا، ففي الطبعة السابقة، مثلاً، كان لبنان بلا رئيس، والآن أصبح برئيس. هذا عن الزيادات في النص، فأما في الخرائط فإن مصمم الكتاب الزميل عاصم ناصر تكفل بالمزاوجة بين العرض الفني الجميل والقيمة المعلوماتية الوافية. وقد قدم الزميل عماد الأصفر ملاحظات قيمة. كما يتوقع القارئ فإن كتاباً عن «العالم»، وبهذا الحجم الصغير، لا بد أن يكون فيه انتقاء، وقد يتناول منطقة صغيرة لأن فيها مشكلة حدودية، ويغفل منطقة أكبر تخلو من مثل هذه المشكلة. فأما ما فيه من هنات فأتحمل وزره معذراً، وأما ما فيه من نظرات وآراء فالعذر فيها أنني أكتب «رؤيتي» لهذا العالم مع الحرص على أن أظل ملتصقاً بالمعلومة حرص السفينة المعطوبة على الإبحار مع الساحل.

عارف حجاوي

حزيران/ يونيو ٢٠١٧

رمضان ١٤٣٨

ملاحظة بشأن الخرائط

حاولنا تزويد هذا الكتيب، قدر الإمكان، بالخرائط التوضيحية. وقد اضطررنا أحياناً إلى ترك الأسماء مكتوبة بالأحرف اللاتينية، وفي أحيان أخرى إلى وضع الخريطة كما هي دون تحليلها بأسماء كل دولة، وذلك حفاظاً على الشكل الذي جاءت عليه من مصدرها. على أن النص يذكر كل الدول بأسمائها. هذا الكتيب لم يطمح بحال إلى أن يقوم مقام الأطلس، بل يسعى إلى تناول المعلومات والأفكار الأساسية التي تتعلق بالجغرافيا السياسية.





7 مصادر الصحفي

(بحيرة العطر، ملعقة عسل، ملعقة عسل أخرى، لو..)

12 الخريطة مجرد بداية

(الويكيبيديا مصدرآ، وكالات الأنباء، المناخ، المعلومات الصغيرة، معدل الدخل الفردي، خط الفقر، السياق، مزالق الأرقام، الكتاب)

25 الدخول إلى الجغرافيا

(قصة ذات مغزى، الكرة الأرضية، اليابسة، تسطيح الكرة، خطوط الطول وخطوط العرض، الجهات، جنوب أم جنوبي، الشرق الأوسط والشرق الأدنى، خريطة الزمن، عصر الدولة القومية، أندورا، ليشتنشتاين، سان ريمو، إمارة موناكو، الفاتيكان)

41 وادي النيل

(النيل والمثلث الأول، المثلث الثاني سيناء، المثلث الأخير وشبه المنحرف الأول، ولادة مملكة شمال السودان، شبه المنحرف الثاني، دارفور)

47 المغرب

(موريتانيا والمغرب والجزائر، القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي، تونس، ليبيا)

51 آسيا العربية

(فلسطين التاريخية، الأردن، سوريا، لبنان، العراق، دول الخليج، اليمن)

57 إيران وتركيا (إيران، تركيا)

59 إفريقيا جنوب الصحراء

(الكونغو فضيحة إفريقيا، الكونغو الأخرى، تشاد، جمهورية إفريقيا الوسطى، النيجر، مالي)

63 قرن إفريقيا

(جيبوتي، إرتريا، إثيوبيا، الصومال)

65 شرق إفريقيا

(كينيا، أوغندا، رواندا، الزاءات الأربع: تانزانيا وموزمبيق وزمبابوي وزامبيا، ملاوي، جزر القمر، مدغشقر)

68 **نيجيريا وغرب إفريقيا** (أرض بوكو حرام، بوركينا فاسو)

70 **إفريقيا الجنوبية**

(بلاد منديلا، مملكة سوازيلاند، مملكة ليسوتو، جمهورية بوتسوانا، ناميبيا، أنغولا)

73 **روسيا وتفكك الاتحاد السوفيتي**

(روسيا، جمهورية الشيشان، روسيا والتحديات المزممة، جورجيا، أذربيجان وأرمينيا)

79 **آسياستان** (الدول الخمس، أفغانستان، باكستان، كشمير)

81 **أوكرانيا وجوارها**

(أوكرانيا، مولدوفا، دول البلطيق، كالينينغراد، روسيا البيضاء)

83 **الهند وجوارها و«محيطها»**

(الهند، بنغلادش، سريلانكا، ميانمار، تايلاند، ماليزيا، سنغافورة، كمبوديا، لاوس، فيتنام، إندونيسيا، تيمور الشرقية، الفلبين، أستراليا، نيوزيلندا، بابوا غينيا الجديدة)

87 **الصين وجوارها** (الصين، تايوان، اليابان، كوريا)

91 **أوروبا**

(إسبانيا، البرتغال، فرنسا، بريطانيا، إيطاليا، ألمانيا، النمسا، سويسرا، هولندا، بلجيكا، لوكسمبورغ، تشيكيا وسلوفاكيا، هنغاريا، رومانيا، بلغاريا، بولندا، ألبانيا، اليونان، قبرص، مالطا، سكندنافيا: فنلندا والدنمارك والسويد والنرويج وأيسلندا)

97 **تفكك يوغوسلافيا**

(صربيا، البوسنة والهرسك، سلوفينيا، كرواتيا، الجبل الأسود، مقدونيا)

99 **أميركا الجنوبية**

(البرازيل، أوروغواي وباراغواي وبوليفيا، الأرجنتين، تشيلي، البيرو، الإكوادور، كولومبيا، فنزويلا، غويانا، سورينام، غويانا الفرنسية)

102 **أميركا الوسطى**

(بنما، كوستاريكا، السلفادور، نيكاراغوا، هوندوراس، غواتيمالا، بليزي، المكسيك)

104 **أميركا الشمالية**

(الولايات المتحدة الأمريكية، القطب الوحيد، كندا، كوبا)





بحيرة العطر

عندما تحول ماء البحيرة إلى كولونيا، وأصبحت السماء تمطر بارفاناً، أغلقت دكاكين العطر في البلاد أبوابها، وأفلس أصحابها. ما عدا بضعة دكاكين تبيع العطر النفيس النادر. وعندما تحول كل إنسان إلى إعلامي، وأصبح يغرد من آيفون، أغلقت المؤسسات الإعلامية أبوابها، وبدأ الصحفيون يفرغون أدراج مكاتبهم استعداداً للذهاب إلى البيت. ما عدا بضعة صحفيين يقدمون المادة المميزة. والمادة الصحفية المميزة إنما هي مميزة بالصدق، والدقة، والعمق، وتكون ثقيلة في ميزان المعلومة وخفيفة على القلب. فيها الإخبار بالواقع، وفيها الإمتاع بالخيال. فأما الخبر الصحيح المتوازن فهو مثل الجبل الأشم تعرفه فور رؤيته. وأما الإمتاع بالخيال فهو في ظن بعضهم موهبة لا تكتسب، وهو عند أرباب الصناعة مهارة يمكن اكتسابها.

العبرة: كن صحفياً متميزاً، أو لا تكن صحفياً.



ملعقة عسل

عندما كان الطب ملعقة عسل وبرشام إسهال، كان حلاق البلدة طبيبها. واليوم ينفق الطبيب عشر سنين من العرق والدموع وتشريح الجثث قبل أن يتقلد السماعة. وعندما كان الإعلام رفع الفاعل ونصب المفعول، كان التلميذ الشاطر في درس الإنشاء يحك رأسه بعد الانتهاء من الثانوية العامة، ويقول لنفسه: مم، أنا ذاهب للعمل في الإعلام. حدث هذا بالضبط مع صاحب هذه الأسطر وهو في التاسعة عشرة. ولحسن حظه أنه اكتشف سريعاً قلة محصوله، فارعوى. وبعد الاكتهال كتب مقالاً عن تجربته نشر في جريدة الحال التي يصدرها مركز تطوير الإعلام بجامعة بيرزيت. وفيما يلي فقرات منه:

«ذهبت إلى القدس، وقرعت باب جريدة الشعب. فنظر إلي صاحب الجريدة من فوق إلى تحت، مثلما يفعلون في السينما. وقال لأحدهم: خذ للـأستاذ فؤاد رزق. قال لي فؤاد رزق، سكرتير التحرير، ماذا تريد أن تعمل؟ فقلت له: محرراً.

ما أوقع المراهق!

أقعدني الرجل إلى منضدة بقربه، ورمى إليّ برزمة أوراق بعضها من الوكالات وبعضها مخطوط منقول عن الراديو. قرأتها بسرعة وصنعت منها خبراً، وتأنقت في عنوانه: «الرئيس السوري حافظ الأسد يتوجه إلى موسكو غداً».





أصلح لي الخبر، ثم شطب العنوان بخط مستقيم، ومن الشمال إلى اليمين. كأنه مر عليه بقلمه قارئاً فعندما وصل نهايته عاد عليه بالقلم شاطباً ماحقاً. هل جربت مرور السكين على عنقك؟ هل جربت أن يشطب أحد كلامك، ومن الشمال إلى اليمين؟ ثم إنه كتب فوق عنواني المشطوب: «الأسد إلى موسكو غداً».

وكان درساً.

أكتب كلماتي هذه في مصر، فأنا أعمل الآن في كتابة نصوص تلفزيونية لبرنامج اسمه (مقاليد الحكم) بالتعاون مع شركة مصرية. قبل يومين اجتمعت في مقر الشركة بالمخرج، وعمره نصف عمري. وبعد جلسة طويلة قال لي: النصوص «مكلّعة». قالها بحرارة الشباب، وقبلتها بهدوء الشيوخ.

طويت أوراقني وذهبت إلى غرفتي، فاعتكفت نهاراً على نصوصي المكلّعة فأعدت كتابتها. ثم، رضي المخرج. ما أصعب أن يشطب لي أحد كلامي، وما أظن أن أظل تلميذاً. « انتهى المقتبس من المقال.

ملعقة عسل أخرى

إن كنت من ذوي اليسار، وأدمنت أن تحلي كوب شايك الصباحي بملعقة عسل، فاعلم أن هذه الملعقة هي إنتاج اثنتي عشرة نحلة طول عمرهن. أنت تضع في كوبك حياة اثنتي عشرة نحلة.

العبرة: عندما يقدم الصحفي الجيد للناس تقريراً عن الانتخابات في تركيا، فلا بد أن يكون وراء هذا التقرير سفر كثير وعلى مدى سنين، إلى تركيا وإلى بلدان أخرى من المنطقة، ولا بد أن يكون وراءه مطالعة واسعة في الشأن التركي من الكتب ومن المقالات والتحليلات، ولا بد أن يكون وراءه لقاءات كثيرة مع كبار الساسة والباحثين، ولا بد أن يكون وراءه معرفة طيبة بالمزاج التركي، وبالأدب التركي، وبالتاريخ التركي، وبالاقتصاد التركي.. وبكل تاريخ، وبكل أدب، وبكل اقتصاد.

تقريبك عن الانتخابات التركية عندئذ يكون ملعقة عسل، جميلاً وقويًا.. ووراءه شغل كثير لا يظهر للعين في التقرير، لكنه موجود. القارئ يحس به. يسأل أحدهم: لماذا يتسامع العالم كله بتقارير الصحفي فلان وتنقل عنه المحطات التلفزيونية، وهو لا يورد في تقاريره معلومات كثيرة، ولا يستعمل لغة معقدة. والجواب: تقارير ذلك الصحفي مثل صوت فيروز، فصوتها يحمل كل شجن حياتها وتجربتها من ثكل وإعالة ومشكلات زوجية، وقهر في مختلف مراحل العمر. أنت لا تمسك بيدك شيئاً من ذلك، لكنك تحسه. والصحفي القدير صاحب التقارير التي تتناولها المواقع وتتحدث بها المجالس عاش تجارب السفر، وعرف الحقائق من أفواه أهلها، وقرأ كثيراً. وهو في تقريره يعطيك الزبدة غير متفاح ولا متعال.

التقرير الجيد ملعقة عسل، وملعقة العسل وراءها ٢٠ ألف زهرة. (عن موقع هوني.كوم).



لو

لو أننا نعيش وادعين، في قرية تنام ما بين التلال، لا تحس بالسنين. بعيدة عن الطريق لم تلمع بقربها سيوف الفاتحين، ليس لها مستقبل ولا طموح، ولا لها ماضٍ ولا تشعر بالحنين. لو نستقبل من هذا الصداق، لو لم يكن في هذه الدنيا صراع! لكن كل قرية تعرضت للغزو، والصراع طبع العالم. والصحافة تعرضت مؤخراً للغزو. ولا بد للصحفي من أن يقرر، وسريعاً، أن يترك المهنة أو يُعدّ ما استطاع من قوة ليوواجه حملة الآيفون، وليواجه آخرين لا يعلمهم، لكنهم سوف يأتون.



الخريطة مجرد بداية

معرفة خريطة العالم هي مجرد العنوان. لا بد للصحفي من أن يدمن التدقيق في خريطة المتوسط وشواطئه كي يعرف موقع ليبيا وتونس من إيطاليا، وموقع تركيا واليونان من سوريا، قبل أن يبدأ في درس ملف قوارب النزوح. الخريطة جغرافيا محضة، ولكنها يمكن أن تحمل بعض التاريخ لا كله، وبعض الاقتصاد لا كله، وبعض التفاصيل الطبوغرافية لا كلها. وفي الصفحات المقبلة عرض لخريطة العالم، لكنه لا يفني إلا بجزء ضئيل من حاجة الصحفي إلى المعلومات.

وفي هذا الكتيب كثير مما تضيق عنه الخريطة. وقد رأى القارئ أنني أنفقت بضع صفحات في التشبيهات. وسأمضي الآن في طرق موضوعات تهم الصحفي، وإن لم يكن لها شديد ارتباط بالخريطة.

الويكيبيديا مصدراً

أصبحت الويكيبيديا واقعاً يفرض نفسه بالحاج. ينبهنا الأكاديميون إلى أنها مليئة بالأخطاء لأن أي متصفح يمكنه أن يغير في معلوماتها، وهذه هي المشكلة الصغرى. وننبه أنفسنا إلى انحيازات الويكيبيديا فيما يتعلق بالعقائد، وإلى ما فيها من إبراز وإخفاء فيما يتعلق بالتاريخ، وهذه هي المشكلة الكبرى.

الويكيبيديا الإنجليزية أغزر في المعلومات

الويكيبيديا وجدت لتبقى..

ويجب استعمالها بحذر





وأقل انحرافاً فيما يتعلق بالعقائد، وهي أكثر دقة؛ لكن تعاملها مع المعلومات يتم من وجهة النظر الغربية، وهي تعاني من إبراز وإخفاء المعلومات بحسب أهواء محرريها.

(مثال: الخسائر البشرية في حرب فيتنام تعرضها الويكيبيديا الإنجليزية مع

صورتين في صدر الموضوع لنصبين تذكاريين للقتلى الأميركيين. ويبقى هذا موضع التركيز والإبراز. ويتم التركيز على أن الفيتناميين قتلوا بعضهم بعضاً، فكأن الحرب الأهلية هي المسؤول الأكبر عن معاناة شعب فيتنام. هناك إخفاء للعدوان الأميركي، ومن قبله الفرنسي. نعم، المعلومات منسوبة إلى مصادرها، ومسرودة بتفصيل شديد. غير أن هذا الدفق الكبير من المعلومات يخفي، بدل أن يبرز، حقيقة بسيطة هي أن هذه الحرب التي فرضها الغرب على شعب ضعيف كانت نتيجتها البشرية أن قتل الغرب ٥% وقاتل الفيتناميين ٩٥% من مجموع القتلى. كل المعلومات موجودة.. وهذه هي المشكلة.. فالمعلومات الجوهرية تتوارى في السيل الجارف.)

العبرة:

إذا أراد الصحفي العربي أن يستعمل الويكيبيديا الإنجليزية في موضوع كهذا فلا بد له من أن يكون مزوداً بمعرفة تاريخية واسعة وأفق سياسي وحضاري يمكنه من رؤية الآخر، ويعصمه من الوقوع في فخ الدفق المعلوماتي الغربي. الويكيبيديا الإنجليزية تورد عليك كل مآسي العالم الثالث، وعليك أنت أن تنصب ميزانك لكي تحدد حجم الجريمة الاستعمارية التي سببت هذه المآسي.

ولن تستطيع أن تجد المعلومة المتوازنة عن عقائد الشيعة والسنة والإسماعيلية والعلوية في الويكيبيديا العربية، فالمقالات المخصصة لهذه العقائد مكتوبة إما بأقلام أصحابها أو أعدائها.



(موسوعة الألمان ومعلومات الألمان)

وستجد مثل هذه الانحرافات في موسوعة راسخة وذات مصداقية عالمية كبيرة هي «البريتانیکا». وستجدها في موسوعة «بروك هاوس» الألمانية الكبرى. كنت في مكتبة جامعة دارمشادت أقف مع أستاذي فريتز كالنبرغ بإزاء موسوعة «بروك هاوس» بمجلداتها الكثيرة. سألته: لماذا تتعجبون أنفسكم وتكتبون موسوعة بهذا الحجم، ألا ترجمتم البريتانیکا؟ قال لي: «هذه ثقافتنا نحن، وهذه معلوماتنا مسوقة بالطريقة التي نراها نحن». فتعلمت أن المعلومات ليست شيئاً ثابتاً، وأن طريقة تناولها واختيار ما نختاره منها يجعل «معلومات» الألمان تختلف عن «معلومات» الإنجليز.

قد لا يستطيع الصحفي العربي أن يقرأ موسوعة فيتنامية لكي تتزن لديه الأمور، غير أن وعيه التاريخي والسياسي ومعارفه الواسعة ستمكنه من تحقيق قدر معقول من التوازن.

الويكيبيديا جاءت لتبقى، وقد بدأت تفترس الموسوعات الأخرى. إنها تمثل ثورة معلوماتية قل نظيرها. ولا يَكُن الصحفي مثل بعض الأكاديميين الذين ينبحونها طول نهارهم، ويقتاتون على مائدها في الليل. لا غنى عن الويكيبيديا ولا بد من تدقيق ما تأتي به.



وكالات الأنبياء

(وكالات الأنبياء لها أجنادات.. كامنات)

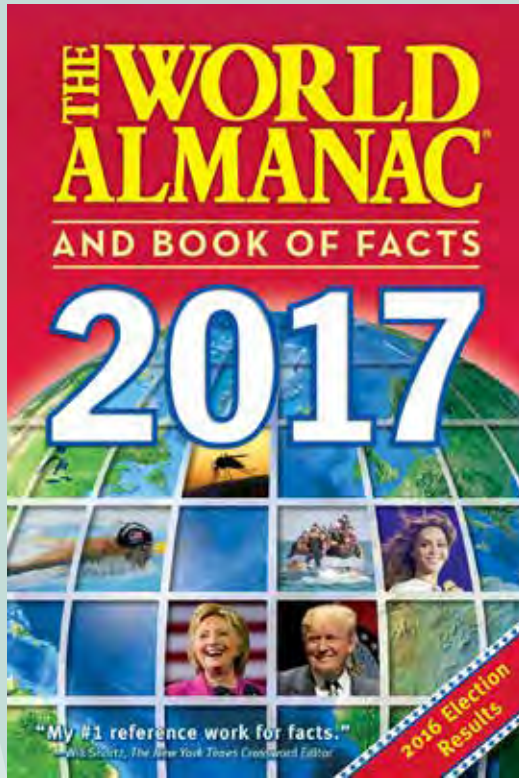
لا غنى عنها، ويبدو أنها ستعيش طويلاً. ولن يفر الصحفي من «أجناداتها» بسهولة.

مثال: مالي بلد إفريقي له بعض الصلة بالتراث العربي، وكل الصلات بالتراث الإسلامي، تجتمع فيها الإسلاميون وتسلحوا، وثاروا على الحكم، فتدخلت فرنسا بجيشها. ودعمتها (عُدَّ على أصابع يديك الاثنتين): بريطانيا وأميركا وروسيا والمغرب والجزائر.. وكل الدنيا.

جاء في تقرير لرويتزر أن السيدة «للا» في مالي خلعت حجابها وكتبت على قميصها «شكرا فرنسا». أنا كصحفي لست ضد أن ترتدي السيدة للا الحجاب، ولا ضد أن تخلعه. ولكنني بنقل مثل هذا التقرير كما هو أكون قد انسجمت مع أجندة رويتزر الفرحانة بنجاح الغزو الفرنسي لمالي.

المناخ

قبل ثمانمئة سنة أخذت اللاتينية عن العربية كلمة «المناخ» لتعني «التقويم» أو «الروزنامة». وأخذ الغرب منذ بضعة قرون يصدر الكتب السنوية باسم «ألمناك» لتضم شتى المعلومات عن حالة الجو ومواسم الزراعة، والمعلومات المتفرقة بشأن الدول واقتصادها. وأشهر ألمناك اليوم هو المسمى «وورلد ألمناك» الذي يصدر سنوياً في أميركا منذ نحو مئة وأربعين سنة. وتجد في صفحاته التي تربو على الألف، معلومات كثيرة عن كل دولة من دول العالم. وتصدر وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية كتاب «فاكت بوك»، وميزته أنه على النت. وهو محبوب تبويماً حسناً، ويستقي المعلومات من تقارير البنك الدولي وصندوق النقد الدولي، ومن مصادر رسمية أميركية وعالمية شتى. وهذا المصدر ممتاز للمعلومات «الصغيرة»، فقد أعدته تلك الوكالة الاستخبارية لمنفعة الإدارة الأميركية لا لمصلحة الصحفي العربي. وتبلغ الويكيبيديا الإنجليزية معظم ما في الفاكِت بوك المذكور، فهو أحد مصادرها الكثيرة.



المعلومات الصغيرة

تريد أن تعرف عن مصر: مساحتها، عدد سكانها، مساحة الأرض المعمورة بالزراعة وبالسكان، وإنتاجها من الطاقة الكهربائية، فهذا مؤشر مهم إلى درجة التقدم الاقتصادي ورفاهية السكان. لكنك تريد أيضاً أن تقارن. ستري مثلاً أن عدد سكان مصر وصل فعلاً إلى ٩٠ مليوناً (تقدير عام ٢٠١٦. المبني على نسبة التكاثر)، وسكان ألمانيا ٨١ مليوناً. مساحة مصر مليون كم مربع، ومساحة ألمانيا ثلث مليون. والأرض الصالحة للزراعة في مصر أقل بقليل من ٣٪، بينما هي في ألمانيا أكثر قليلاً من ٣٣٪. ستجد استهلاك الكهرباء في مصر للفرد الواحد ١,٤٠٠ كيلووات، وفي ألمانيا ٦,٨٠٠ كيلووات. وستجد هذا الرقم ينخفض إلى ٢٥٠ كيلووات في بنغلادش، ويرتفع إلى ١٠,٠٠٠ كيلووات في قطر، (المصدر: فوتيوس.كوم؛ وأرقام البنك الدولي قريبة، عدا رقم قطر فهو ١٥ ألفاً عند البنك الدولي). والرقم الذي يشير إلى استهلاك الكهرباء يدل على عدة أشياء، منها نشاط الصناعة، والرخاء العام الذي يجلب معه إنارة الشوارع والحدائق والبيوت، ومنها اعتماد البلد على تحلية مياه البحر، ومنها أيضاً وجود مصادر رخيصة لتوليد الكهرباء.



معدل الدخل الفردي

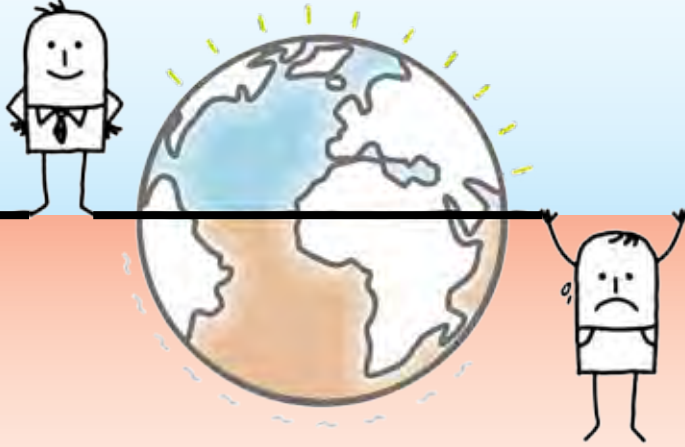
هناك رقم يستعمله الدارسون والصحفيون في الغرب كثيراً وهو معدل الدخل الفردي. فهذا الرقم يدل على نصيب الفرد الواحد من الدخل القومي للبلد. وغالباً ما يكون مقدراً بالدولار الأميركي. وهنا مشكلة: فالدولار في نيجيريا يشتري من الحاجيات أكثر مما يشتري الدولار في فرنسا. لذا اخترعوا مفهوم «الدولار الدولي»، وهو مربوط بالقوة الشرائية للدولار الأميركي في كل بلد على حدة. ويُرمز إليه بالأحرف PPP، ومعناها «بالترتباط بالقوة الشرائية». فالدخل الفردي في مصر (أي دخل كل فرد كبيراً أم صغيراً بقسمة متساوية لكل الدخل القومي على كل الأفراد) هو ٣,٧٢ دولاراً، ولكن دولارك في مصر يشتري لك أكثر بكثير مما يشتري لك في أميركا، ولهذا فالدخل الفردي في مصر مع حساب القوة الشرائية هو ١١,٢٠٠ دولار. والدخل الفردي (مع حساب القوة الشرائية) في ألمانيا ٤٧,٠٠٠ دولار.

على أن الدخل السنوي للفرد لا يعبر عما في البلد من تفاوت بين غني وفقير. هذا يعبر عنه مقياس جيني. ويمكن للصحفي أن يفهم هذا المقياس ويباشر في استعماله في بضع دقائق. على أن هذا المقياس لا يصف حال الفقراء جيداً، فهو مجرد رقم. لذا قد يفضل الصحفي أن يلجأ إلى مفهوم «خط الفقر». والصحفيون، في الغرب والشرق على السواء، يتفنونون في إساءة استخدام هذا المفهوم.



خط الفقر

وضع البنك الدولي (٢٠١٥) خط الفقر عند ١,٩٠ دولار يومياً لكل فرد (مع احتساب القوة الشرائية). وخير استخدام لهذا المفهوم أن يكون ضمن مقارنة، وبنفس التعريفات، ومن مصدر واحد. ففي موقع «السي آي إيه» يوجد في الدنمارك ١٣,٤٪ من الأفراد تحت خط الفقر، وفي اليونان ٤٤٪، وفي مصر ٢٥٪. وقد اعتمد هذا الموقع على رفع وخفض خط الفقر بحسب اعتبار الحالة الاجتماعية في كل مجموعة من البلدان. وحتى ضمن هذا التعريف فلا وجه للمقارنة إلا ضمن المجموعة الواحدة. فأما إذا أخذت مقياس «البنك الدولي» فلن تجد في هذه



البلدان الثلاثة أحداً تحت خط الفقر، بخلاف ما تجده في موقع السي آي إيه.

يحسن بالصحفي ألا يعول كثيراً على أقوال النشطاء في مجال الإغاثة بشأن نسبة من هم تحت خط الفقر. فإذا أراد بادئاً أن يستعمل هذا المقياس فعليه أن يحدد المصدر وأن يلتزم بمنهجيته.

كل هذه المعلومات الصغيرة ترسم للصحفي صورة عن البلد الذي يكتب عنه تقريراً. وكلها موجود على النت.

وميزانيات كثير من البلاد موجودة على النت، وكذا الاحتياطي النفطي التقديري، مع بيان المصدر. ولا عذر لصحفي اقتصادي يغفل كل هذا الزخم المعلوماتي.



السياق

استعمل أحد الصحفيين أرقاماً من موقع ذي مصداقية طيبة بشأن نسبة الفساد في دول مختلفة، وأغفل معلومة صغيرة: هي أن الأرقام تشير إلى «آراء» من المواطنين في هذه الدول بشأن الفساد. وآراء المواطنين في دولة فسادها قليل والحرية فيها كثيرة تجعل الفساد كثيراً، وآراء المواطنين في دولة غارقة في الفساد ولكن الحرية فيها قليلة تجعل الفساد قليلاً. هذا يحيلنا إلى المزالق في قراءة الأرقام.

مزالق الأرقام

القول: «التسرب المدرسي في اليونان مئة ألف تلميذ، بينما يبلغ في الولايات المتحدة ثلاثة ملايين تلميذ» يمثل مقارنة فاسدة. ليس فقط للاختلاف في النظام الدراسي بين البلدين، بل لأن عدد سكان كل من البلدين مختلف اختلافاً ذريعاً. وعبارة: «فاز الرئيس الفرنسي بومبيدو بنسبة ٥٨٪ (فقط) من أصوات الناخبين»، فيها مشكلة. فقط هذه تحمل في جوفها جهلاً. فنسبة ٥٨٪ في ذلك البلد، في ذلك الزمن، نسبة كبيرة، ولا حاجة لفظ. وعبارة: «حقق الحزب اليميني المتشدد بزعامة نايجل فاراج اكتساحاً في انتخابات مجلس العموم البريطاني لعام ٢٠١٥، إذ نال من أصوات الناخبين البريطانيين نحو ثلاثة أضعاف ما ناله الحزب القومي السكوتلندي»، عبارة صحيحة، غير أنها لا ترد إلا على لسان صحفي يجهل طبيعة تلك الانتخابات. ففي الواقع فقد نال الحزب



نايجيل فاراج،
نحو ٤ ملايين صوت،
ومقعد واحد

اليميني عقب هذه الانتخابات مقعداً واحداً من مقاعد مجلس العموم الستمئة والخمسين، بينما حقق الحزب القومي السكوتلندي ٥٦ مقعداً، رغم التفوق المضاعف لثلاثة أمثال للحزب اليميني على الحزب القومي السكوتلندي. فهل هذا مثال مقنع على أن من يريد تغطية الانتخابات البريطانية يجب أن يكون عالماً بالنظام الانتخابي لأعرق برلمان في العالم؟



كاتب هذه السطور كُلف في سنة ١٩٩٢ بتغطية حية للانتخابات البريطانية من استديوهات القسم العربي للبي بي سي في لندن على مدى ساعات طويلة في ليلة فرز الأصوات، ولم يجترئ على تلك المهمة وعلى تقديم معلومات معقولة لمستمعيه إلا بعد أن قرأ كتابين سمينين عن النظام الانتخابي البريطاني - في وقت لم يكن فيه إنترنت - (المزيد عن فائدة الكتب في العنوان المقبل).

وحتى عبارة: «لم يتجاوز حجم إنتاج الزيتون في فلسطين هذا العام عشرة آلاف طن، بالمقارنة مع العام الماضي حيث كان ثلاثين ألف طن» تظل عبارة ناقصة، وتحمل مقارنة فاسدة. فالعارفون يعرفون أن أشجار الزيتون في فلسطين تعودت، منذ عهد الرومان، أن تطرح الكثير في سنة وتحجب خيرها في السنة التالية. وبدون هذه المعلومة قد يظن المتلقي للخبر أن هناك كارثة زيتونية في فلسطين.

التعامل مع الأرقام يجب أن يكون مدعوماً بمعرفة أمور كثيرة وراء الأرقام. والتعامل صحفياً مع استطلاعات الرأي أمر يحتاج إلى الخبر الذي يملك الحس الجيد، والذي لا يستسهل.

كل معلومة صحيحة في ذاتها يمكن أن تنحرف ما لم توضع في سياقها. ولا متسع للصحفي وسط ضجيج غرفة الأخبار للدرس والمقارنة ولفهم شتى المعطيات. مكان الدرس هو البيت. والفوارق بين صحفيي العالم الثالث، وصحفيي الدول المتقدمة تتمثل أساساً في عمق الثقافة، وسعة التجربة، وعدم الاستسهال.



منذ أن رمى هولكو كتبنا في النهر قدمنا استقالتنا من المطالعة

الكتاب

ليس الإعلام أخباراً فقط. ولئن قلّت حاجة الصحفي في غرفة الأخبار لمعرفة معلومات كثيرة عن الدول الإسلامية القديمة فإن الإعلاميين العاملين في مجال التحقيق والدراما والوثائقيات والبرامج محتاجون إلى هذا. عندما يعلم الإعلامي أن الدولة الراشدية دامت ٢٩ سنة، تلتها الأموية ودامت ٩١ سنة، فالعباسية ودامت ٥٢٥ سنة قمرية، حتى سقوط بغداد، يكون قد وضع في ذهنه خيطاً زمانياً يساعده في تعبئة المعلومات في أماكنها. وقد لا يجد الإعلامي متسعاً لمراجعة أمهات كتب التاريخ ككتاب الطبري وابن الأثير وابن خلدون، غير أنه ينتفع بكتاب صغير يفني بترسيخ سلسلة زمانية في ذهنه مثل كتاب «تاريخ الخلفاء» للسيوطي، وهو مطبوع ومتوفر. ومن القديم فإن «مروج الذهب» للمسعودي يقدم للصحافي صورة موجزة عن التاريخ العربي الإسلامي القديم لكنها تتجاوز مجرد الخط الزمني. وكُتب التاريخ المعاصرة مشحونة بتمجيد الأقدمين وحذف معاييبهم، على أن المستشرقين عاقبونا عقاباً حسناً بأن نابوا عنا في كتابة تاريخنا: لبروكلمان كتاب مهم هو «تاريخ الشعوب الإسلامية»، وكتاب يوليوس فلهاوزن عن الدولتين الراشدية والأموية كتاب مهم، ولجرجي زيدان «تاريخ التمدن الإسلامي»، ولفيليب حنّي «تاريخ العرب المطول»، وهذان كتابان لمؤلفين عربيين غير أنهما اتبعا منهج المستشرقين. وثمة مستشرق حديث كتب كتاباً بديعاً جعله عن تاريخ العرب في الخمسمئة سنة الأخيرة، وسمته الترجمة العربية «العرب منذ الفتوحات العثمانية»، ذلك هو يوجين روغان الذي وصل بتاريخه، في النسخة العربية، التي أشرف بنفسه عليها، إلى ما بعد الربيع العربي. الكتاب ثمين جداً.

ومن الكتب العلمية ينتفع الإعلامي كثيراً بكتاب «الفيزياء المسلية» لياكوف بيرلمان، وله في كل اللغات الحية في العالم طبعات كثيرات، وهو موجود بالعربية ويطبع باستمرار. وقد قدم أحمد زكي مؤسس مجلة «العربي» التي ثقفت جيلاً أو جيلين بثقافة علمية وأدبية، مجموعة كتب ثمينة: «مع الله في السماء» عن الفلك، وفي «سبيل موسوعة علمية»، و«بواتق وأنابيق» عن الكيمياء، و«قصة الميكروب» المترجم جزئياً. والكتاب العلمي القديم لا يغني عن الجديد.. ولكن أسلوب أحمد زكي الأخاذ وسعة معرفته يتفاعلان معاً ليجعلا من كتبه حقائق يتمتع فيها العقل والقلب. ومثله في سعة المعرفة والضبط اللغوي أحمد شفيق الخطيب صاحب الموسوعات والمعجمات العلمية الكثيرة. فهذا الاسم «أحمد شفيق الخطيب» علامة على الجودة، وكتبه الموسوعية مليئة بالصورة المبهرة.

ومن أطاق القراءة المطولة بالإنجليزية فثم دفع من الكتب العلمية التي تصدر كل عام لغير المتخصصين.

ليس ما ذكر أعلاه سوى إلماعة سريعة إلى بعض الكتب في موضوعي التاريخ والعلوم الغرض منها التمثيل لا الحصر.

والغرض من هذا العرض السريع لمصادر الصحفي هو أيضاً فتح الباب دون الولوج في التفاصيل. فالإعلامي الذي يعمل في محطة إذاعة محلية محتاج إلى مصادر كثيرة غير ما ذكرنا، ومثله العامل في وكالة أنباء رسمية، ومثلهما الإعلامي الذي يشرف على تكليف الشركات بإنتاج برامج وثائقية لمحطته. الفكرة العامة: المعرفة مهمة، والمعلومات لا تصبح حقائق إلا بعد أن تترن في سياق.

وبحثنا فيما سيأتي من صفحات مقصور على الجغرافيا، وليس كل الجغرافيا، هو مقصور على الخريطة. هو مجرد جولة في خريطة العالم السياسية.





الدخول إلى الجغرافيا

قصة ذات مغزى

كان الأب يقرأ جريدته، وابنه الصغير يقاطعه بالأسئلة؛ فضجر الأب. وقطع صفحة من الجريدة عليها خريطة العالم، ومرّقها إلى قطع صغيرة. وقال لابنه: أعد ترتيب القطع. بعد ربع ساعة عاد الصبي، وقد أعاد ترتيب خريطة العالم، فذهل الأب، وسأل ابنه: كيف فعلت هذا، وبهذه السرعة؟ قال الابن: على الوجه الآخر توجد صورة إنسان، وعندما أعدت بناء الإنسان أعدت بناء العالم.

المغزى

أن الإنسان أهم شيء في العالم! هذا فقط من وجهة نظر الإنسان. لكن العالم ملك لنا وللكائنات الأخرى. ومثلما انقرض الديناصور قد انقرض الإنسان. يهدد وجوده الاحتباس الحراري، وارتفاع مستوى الماء في البحار، ومشكلة طبقة الأوزون، والانفجار السكاني، وتقلص الغابات المطيرة، ويهدد وجوده في المقام الأول السلاح النووي. وكل هذه الأمور ليست مما نعالجها في هذا الكتيب. فهو كتيب يصف خريطة العالم، ويتكلم عنها. فيه معلومات شتى تبتعد عن وجه الخريطة ثم تعود إليه. والغرض تشجيع الصحفي على التجول في الخريطة، واستكشاف مواقع الدول والمناطق، واستعمال شتى أنواع الخرائط لاستقاء المعلومات المختلفة، ولا يخلو الكتيب من نظرات سياسية واجتماعية اجتهد المؤلف ألا يكثر منها.



الكرة الأرضية

نحن مخلوقات أحادية البعد، نرى المستقيم فنقيس طولهُ؛ وقد نحتمل البعد الثاني، فإذا رأينا مربعاً فقد نفلح في حساب مساحته. وقد نحفظ مساحة الدائرة حفظاً من غير فهم، فهي بحسب القانون: نون قاف تربيع طاء. فإذا جاءنا البعد الثالث وَرَد علينا ما يَبْهَظ قدرتنا على التخيل. كانت أرض الأقدمين مسطحة، فمن وصل إلى حافتها وسار خطوة إضافية وقع. ثم سلّم الناس بأنها كرة.

غدت كروية الأرض من المعلومات العامة في عصر الخليفة المأمون، وكان لا بد لفريقه الفلكي: يحيى بن أبي منصور ومساعدته سند بن علي اليهودي، من الخوض في الهندسة الفراغية لحساب محيط الأرض. وقد حسبا محيط الكرة الأرضية، وانحرف حسابهما بمئتي كيلومتر فقط عن حسابنا المعاصر، أي بخطأ مقداره نصف المئـة.

الأرض كرة محيطها ٤٠ ألف كيلومتر. وهي مفلطحة قليلاً عند خط الاستواء، بنسبة واحد ونصف في الألف. فلو سافر المرء محاذياً خط الاستواء فسوف يقطع مسافة تزيد ٤٣ كيلومتراً عمّا لو سافر ماراً بالقطبين. القطب الجنوبي قارّة، ومع أنه مغطى بالجليد فإن تحت الجليد يابسة. وأما القطب الشمالي فجليد فوق جليد. فنحن نقول المحيط المتجمد الشمالي ولا نصفه بالقارة أبداً، وأما البحار المحيطة بقارة القطب الجنوبي فتتبع المحيطات المعروفة.

والماء يغطي ٧٠٪ من سطح الكرة الأرضية.



اليابسة

قشرة الكرة الأرضية مثل شرائح بسكوت مسكوب فوقها جلي/ هلام، فإذا حركت الطبقة ارتطمت أطراف البسكوتات وتشقق الجلي على حدودها. يعتقد البيولوجيون أن قشرة الأرض مكونة من صفائح متجاورة يسترها ما على الأرض من تراب وصخور وبحار، واحتكاك الصفائح بعضها ببعض يصنع البراكين والزلازل، والجبال. تلك هي الصفائح التكتونية. لا يملك العلماء الدليل القاطع على وجودها. ولكن، هناك القرينة شبه الدامغة: مواقع الزلازل والبراكين المرصودة منذ مئات السنين. فبنظرة إلى هذه المواقع يتضح أنها تسير في خطوط. لنأخذ الصفيحة التكتونية العربية: خطها الشرقي يسير على طول إيران وتركيا وخطها الغربي يمتد من حلب إلى البحر الميت، أخفض بقعة على سطح اليابسة، إلى البحر الأحمر على طولها ثم يستمر الخط حتى يصل إلى منطقة البحيرات في شرق إفريقيا.. ذلك هو الأخدود القاري، أو ما سمي بالحفرة الانهدامية. وننظر إلى طول الساحل الشرقي للأميركتين - عند نيويورك وواشنطن - فلا نجد أن هناك زلازل ولا براكين قد وقعت، فإذا ما نظرنا إلى الساحل الغربي - حيث كاليفورنيا والمكسيك - وجدنا أن مئات الزلازل والبراكين قد وقعت، ذلك أن الصفيحة التكتونية الأمريكية الشمالية تصاقب الصفيحة التكتونية الباسيفيكية عند كاليفورنيا والمكسيك، فأما الساحل الشرقي - حيث نيويورك بناطحاتها - فلا يقع عند خط تماس تكتوني، فالخط التكتوني المقابل يمر في وسط المحيط الأطلسي وليس عند الساحل. ومن سوء حظ اليابان والفلبين أنهما تقعان على خط المصاقبة بين الصفيحتين الباسيفيكية واليوراسية.



مواقع الزلازل والبراكين علامة على مواضع التقاء الصفائح التكتونية

تسطيح الكرة

خيالنا أضعف من أن يتصور الأشياء مجسمة، فنحن نريد تسطيحها. وخيالنا ما زال يرفض انعدام الفوق والتحت في الكون، وما زلنا نتعجب كيف لا يسقط الآدميون والكناعر في أستراليا في الفراغ! حوّل جيرار مركاتور - قبل نحو خمسة قرون - الكرة إلى أسطوانة، ثم نشر الأسطوانة، فكانت له خريطة مسطحة. لكن تحويل الكرة إلى أسطوانة يقتضي أن نزيد المساحات في الأعلى والأسفل كثيراً وأن نبقي الوسط على حاله، ويقتضي أن نشوه أشكال البلدان بعض التشويه، لذا تضطرب المسافات بين المواضع. مع كل ذلك بقيت خريطة مركاتور مستعملة حتى تخرج كاتب هذه الأسطر من مدرسته. كانت خريطة مركاتور تزين الجدار وفيها جزيرة غرينلاند بحجم إفريقيا تقريباً.

خريطة العالم بتسطيح مركاتور الأسطواني

ثم في عام ١٩٢١ نشر أوزفالد فينكل الألماني نموذجاً لتسطيح الكرة الأرضية. وسُمّي فنكل نموذجاً بالثلاثي لأنه قلل التشوه في ثلاثة أمور: المساحة والمسافة والاتجاه. ينظر فينكل إلى كل بقعة نظرة عمودية ويسقطها في مكانها، ثم يملأ الفراغات بانتظام مقيس بمعادلات رياضية. وفي خريطة فينكل تصغر جزيرة غرينلاند كثيراً وتقترب من مساحتها الحقيقية.. مجرد اقتراب.



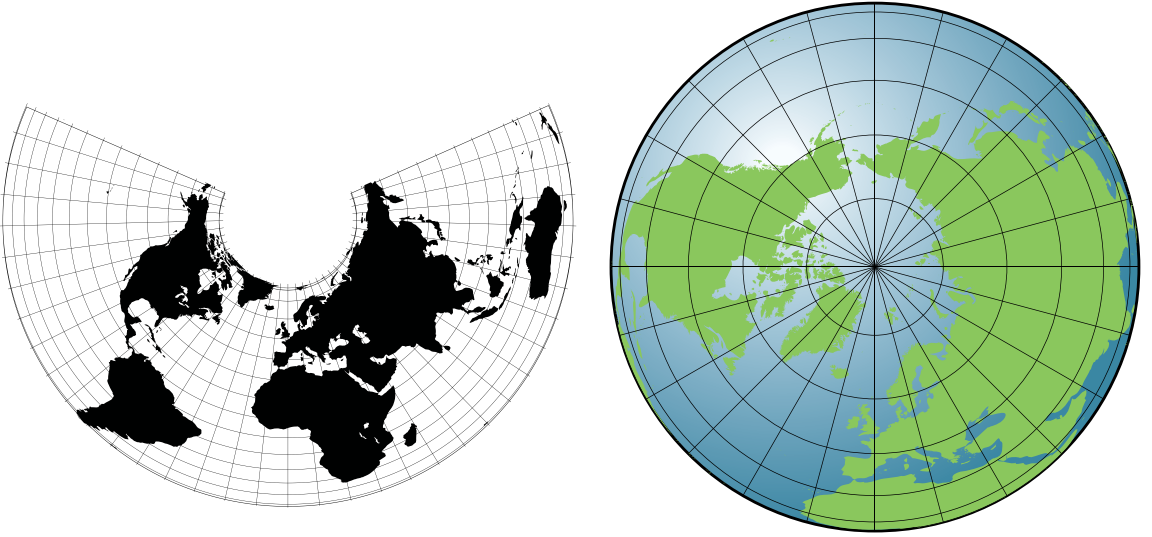
خريطة العالم بتسطيح فينكل الثلاثي

إن تسطيح الكرة يقتضي إدخال تشوهات من ستة أنواع، ولا يمكن لنموذج واحد أن يفي بكل الاستعمالات.



عندما أراد مصمم شعار الأمم المتحدة، وقت نشوئها عام ١٩٤٥، تضمين الشعار خريطة للعالم اختار أن ينظر إلى الكرة الأرضية من القطب الشمالي، رأى تحت عينيه دائرة، فهذا ما نراه اليوم على شعار الهيئة الأممية. هو تسطيح سمّي بسيط.

وحول بعضهم كرة الأرض إلى شكل مخروطي ثم بسط المخروط. فهذا تسطيح آخر. يجد المرء الجزيرة العربية على إحدى الخرائط وقد مالت ميلاناً شديداً، ويجدها في خريطة أخرى وقد اعتدلت. وقد يرى في إحدى الخرائط قارة أستراليا مشوهة تشويهاً كبيراً، ويراها في خريطة أخرى وقد اقترب شكلها من الواقع.



هذا عن خريطة العالم. فأما الخريطة التي تصور قارة واحدة فقط فإن التشوه فيها أقل، فإن كانت خريطة لبلد واحد فالتشوه ينخفض أكثر. لكننا دائماً في حاجة ماسة إلى أن نرى العالم كله أمامنا، ومسطحاً. محتاجون إلى خريطة كهذه كي نبين فوقها توزيع اللغات، والأديان، والثروات الدفينة؛ وكي نرسم عليها خطوط المناخ، وخطوط الملاحة، وخطوط التوقيت.

ولك في خريطة العالم - كيفما كانت طريقة تسطيحها، وطرق التسطيح بالمتئات - أن تختار الزاوية التي تريد. فالمدارس الأميركية تحبذ أن تكون الأثيركتان في الوسط، ومدارس أوروبا وإفريقيا تجعل العالم القديم في الوسط. والباحثون في التهديد النووي ينظرون إلى العالم من شمال أوروبا حتى ينسب أمام أعينهم المحيط المتجمد الشمالي ويرؤوا بوضوح المسافة الأقرب بين روسيا وأميركا، فالصواريخ التي تحمل الرؤوس النووية ستعبر هذا المحيط.. الطريق الأقصر.



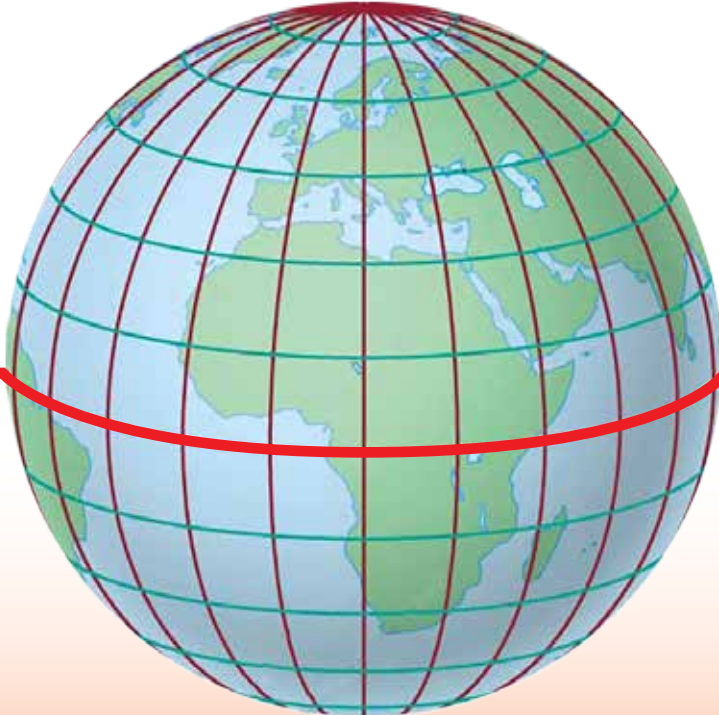
خطوط الطول وخطوط العرض



البشر فريقان: فريق يقشر البرتقالة بالطول، وفريق بالعرض. وكلا الفريقين يقشر الكرة الأرضية بالطول والعرض معاً. فكل طريقة غرض.

خطوط الطول

لتسهيل غزو البحار، والأمم التي وراء البحار، حزز الإنجليز الكرة الأرضية حزوزاً. وجعلوا خط الطول الأول يسير من القطب إلى القطب ماراً بمرصد غرينيتش الكائن في لندن، وسموه الخط صفر. وطفقوا يرسمون خطوطاً «نصف» دائرية من القطب إلى القطب حتى بلغت ٣٦ خطاً (من ضمنها الخط صفر)، بعدد درجات الزاوية الكاملة. وهذه الخطوط تقاطع مسير



الشمس. فالشمس تقطع خطاً بعد خط - تقطع ما بين الخط والخط في أربع دقائق - حتى تقطعها جميعاً في أربع وعشرين ساعة. وتواقبت بلدان العالم تسير على هذه الخطوط، خطوط الطول، وارجع إلى الفصل المخصص لخريطة الزمن.

خطوط العرض

كان الأولي أن يسموها دوائر العرض. لنبدأ بأولها: خط الاستواء يزير الكرة الأرضية من وسطها، وهو دائرة. وإنما أعيد التذكير بأنه «دائرة» لغرض: فقد كنت أوردتُ ضمن اختبار للصحفيين سؤالاً عن خط الاستواء: أهو دائرة أم نصف دائرة أم أسطوانة أم خط مستقيم. ولا تسئل عن عجيبي مما جاءني من إجابات. أدركت من هذه الإجابات أن ما يدرسه الناس في المدارس لا يتجاوز طبلة الأذن بكثير.

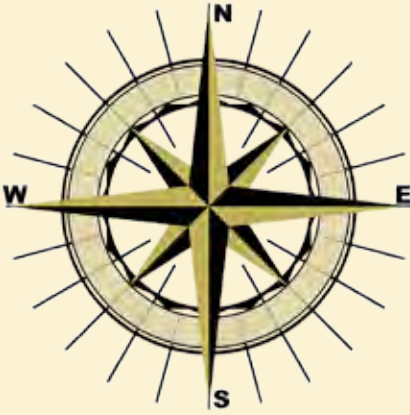
خط الاستواء يحيط بالكرة الأرضية في منتصفها، وبما أنها كرة فلا بد أن يكون هذا الخط دائرة. وكل خط أحاط بأي كرة وفي أي موضع من هذه الكرة سيكون دائرة. تسير الشمس فوق خط الاستواء، وهي بعيدة عنا بـ ١٥ مليون كم، وأشعتها تسقط على خط الاستواء عمودية (مع انحراف شمالي وجنوبي قليل جداً)، فالنهار والليل متساويان عند خط الاستواء. كل هذا عن دوران الأرض حول نفسها. ولا نتعرض لدورانها حول الشمس الذي يسبب اختلاف الطقس بين الفصول.

بعد الدائرة الاستوائية دائرة أخرى إلى الشمال أصغر فأخرى أصغر وهكذا حتى نصل إلى الدائرة القطبية الشمالية. والأمر نفسه جنوباً حتى الدائرة القطبية الجنوبية، ومجموع خطوط العرض المرسومة على الكرة الأرضية ١٨ خط عرض، (وخط الاستواء ذو الرقم صفر غير محسوب).

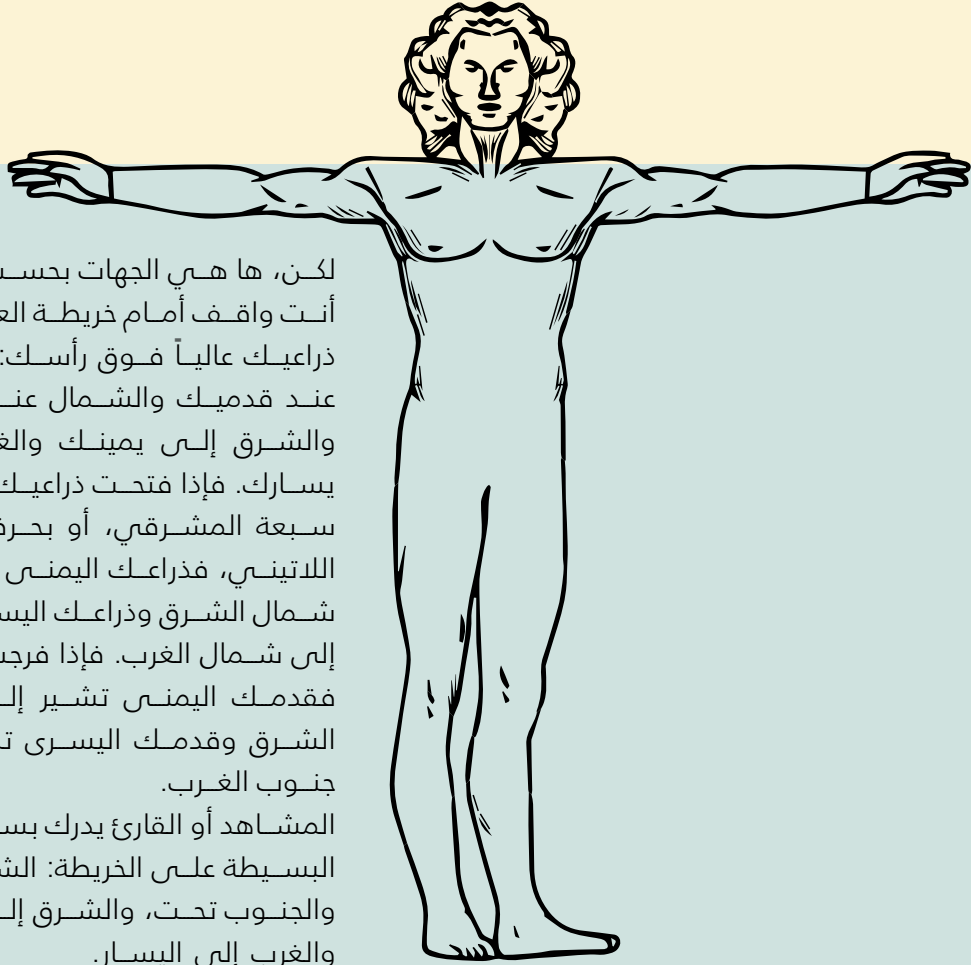
هذه خطوط العرض. ومعرفة خط العرض الذي تقع عليه مدينة معينة يؤشر إلى مناخها، لكن هناك عوامل أخرى تؤثر في المناخ، كوقوع المدينة في صحراء أو على بحر أو فوق جبل.

أهمية خطوط الطول والعرض، حتى قبل عصر الجي بي إس، هي أنها تمثل الإحداثيات التي يتحدد بواسطتها كل موضع على سطح الأرض. ومع الوسائل الحديثة أصبح استخدام هذه الإحداثيات مما يهم كل إنسان إلا من كان يسكن في قرية صغيرة وعمره قد تجاوز المئة.

الجهات



جدير بالصحفي أن يتجنب، قدر الإمكان، الجهات المزدوجة التسمية كجنوب الشرق وشمال الغرب. فهذا مما لم يألفه الناس في بلاد يقول لك صاحبك فيها ألقاك بعد العصر عند المحطة ثم يأتي بعد العشاء إلى مقهى يبعد عن المحطة نصف كيلومتر، وهات يا مكالمات هاتفية حتى تعثر عليه.



لكن، ها هي الجهات بحسب الخريطة: أنت واقف أمام خريطة العالم ورافع ذراعيك عالياً فوق رأسك: فالجنوب عند قدميك والشمال عند أناملك، والشرق إلى يمينك والغرب إلى يسارك. فإذا فتحت ذراعيك عالياً برقم سبعة المشرقي، أو بحرف «في» اللاتيني، فذراعك اليمنى تشير إلى شمال الشرق وذراعك اليسرى تشير إلى شمال الغرب. فإذا فرجت ساقيك فقدمك اليمنى تشير إلى جنوب الشرق وقدمك اليسرى تشير إلى جنوب الغرب.

المشاهد أو القارئ يدرك بسرعة الجهات البسيطة على الخريطة: الشمال فوق والجنوب تحت، والشرق إلى اليمين والغرب إلى اليسار.

جنوب أم جنوبيّ

نقول (تقع السودان جنوب مصر) لأنها عنصر خارج مصر،
ونقول (تقع أسوان جنوبيّ مصر) لأنها في الجزء الجنوبيّ
من مصر نفسها. وقس عليه.

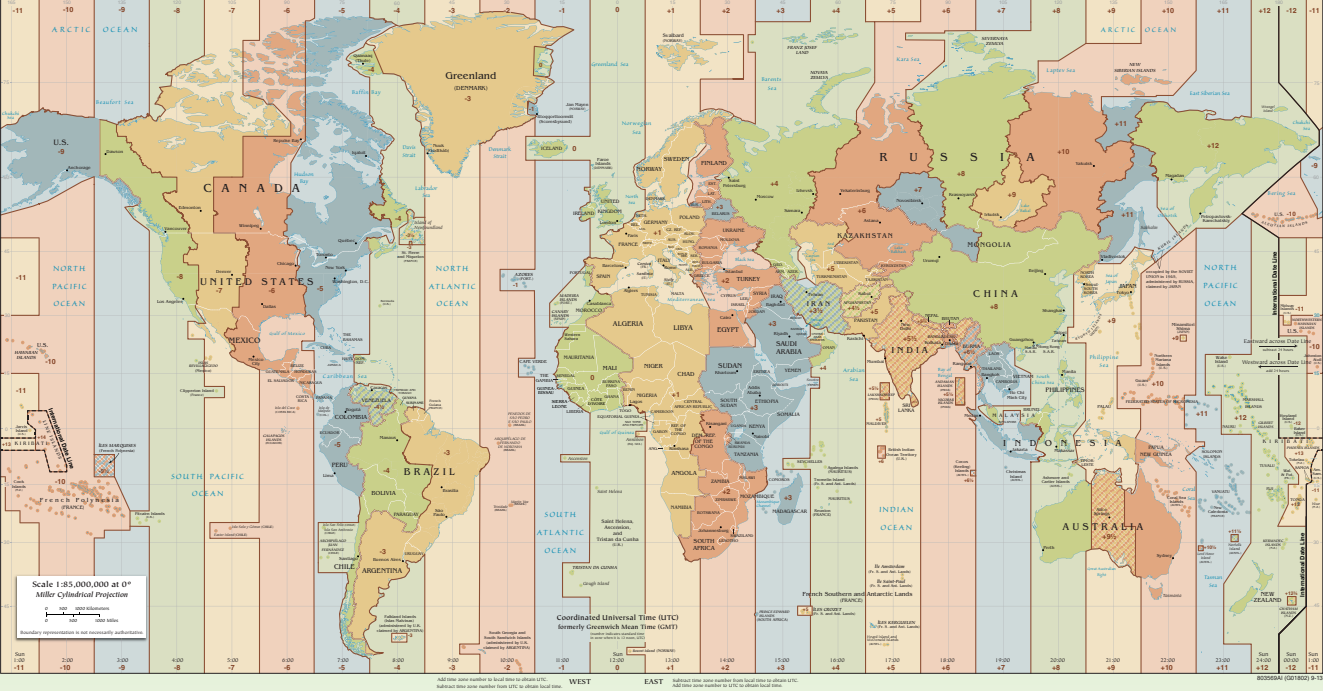


الشرق الأوسط والشرق الأدنى

كان البريطانيون يسمون هذه المنطقة الشرق الأدنى تمييزاً لها عن الصين التي هي الشرق الأقصى. وفي العصر الأمريكي أصبح «الشرق» بالنسبة للولايات المتحدة هو أوروبا التي تقع فعلاً إلى الشرق من الولايات المتحدة، فعلى هذا سميت المنطقة العربية بالشرق الأوسط.

وكان كثيرون من العرب يرفضون مصطلح «الشرق الأوسط» في عصر المد القومي لأنهم رأوا فيه مصطلحاً جغرافياً يعين الاتجاه لا غير ومن وجهة النظر الأمريكية، بينما المنطقة التي تعنيهم هي «العالم العربي»؛ وكثيرون فضلوا «الوطن العربي» أملاً في أن يكون وطناً واحداً.





خريطة الزمن

رئيس التحرير يريد أن يسكّر الصفحة الأولى عند منتصف الليل، ويقول لزملائه الصحفيين: «العالم قد نام الآن ولن يأتي خبر جديد». وتخرج الجريدة في اليوم التالي وليس بها إعلان الرئيس الأمريكي إغلاق معسكر غوانتانامو.

العالم لا ينام في وقت واحد. عندما ننام نحن في العالم العربي تظل أميركا صاحبة وتصنع أخباراً. وعندما نصلي الفجر تكون كوريا الشمالية قد أعلنت عن تفجير قنبلة هيدروجينية، صدقت في إعلانها أم كذبت.

يحسن بالصحفي أن يقتني على سطح المكتب في حاسوبه خريطة «أوقات العالم». طريف أن يكتشف أن فنلندا تتفق مع موزمبيق في أمر لا تتفق فيه مع جارتها السويد. ذلك هو التوقيت. وطريف أن يكتشف أن دبي تزيد عن توقيت مكة المكرمة ساعة، ولكن طهران تزيد عن مكة ليس ساعة ولا ساعتين، بل.. نصف ساعة. وكابول تزيد عن مكة ساعة ونصفاً، ونيودلهي ساعتين ونصفاً. وأما كتمندو عاصمة نيبال فقد رأت أن تزيد في ساعتها عن مكة بساعتين وثلاثة أرباع الساعة.. مزاج.

الساعة ١٢ ظهراً الآن في رام الله، والمنتج قد بدأ نوبته في التلفزيون. عليه، من بين الأخبار الكثيرة، أن يختار بحسب المعايير التي يعرفها كل صحفي: الأهم والأكبر والأخطر والأقرب والأكثر تأثيراً في حيوات مشاهديه، إلخ. لكن عليه أيضاً أن يختار الخبر الذي يكون المشاهدون متهيئين لاستقباله. فقد يرى هذا الصحفي أن يؤجل تقريراً عن المغرب للنشرات المسائية.. لأن الوقت في المغرب الآن صباحي فالمغرب تقل عن الله ثلاث ساعات.

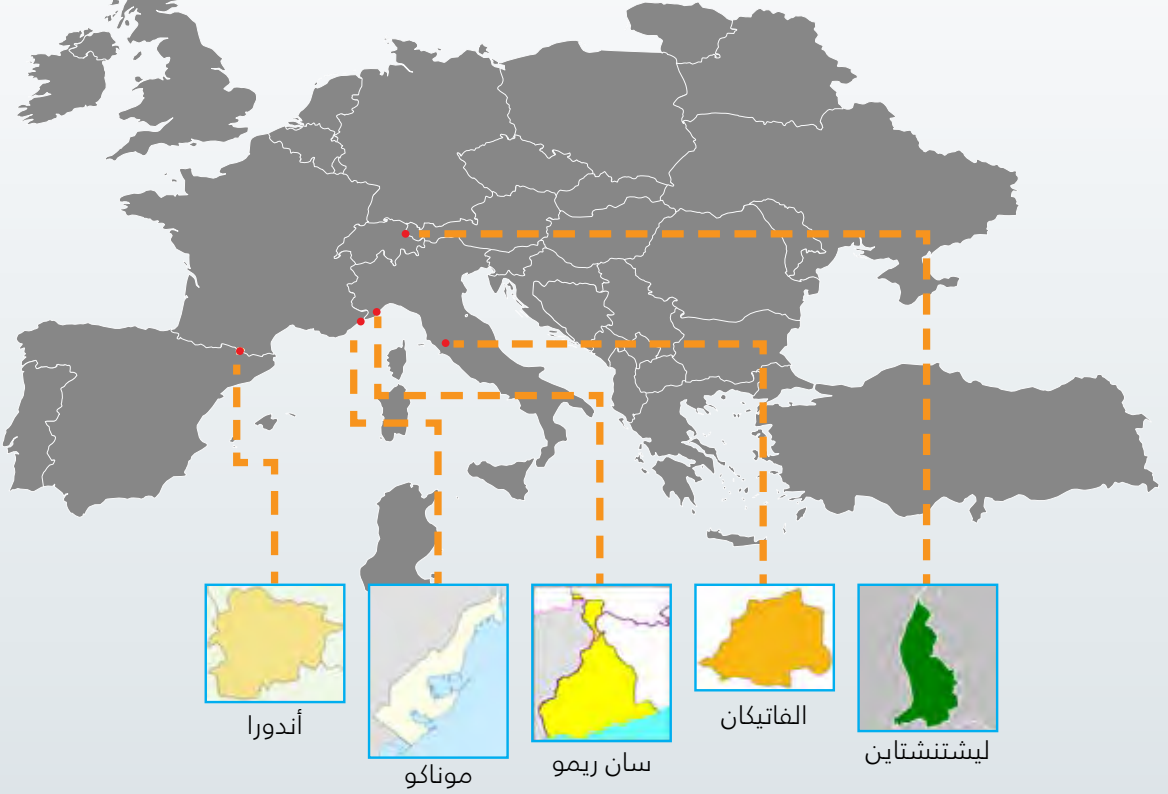
في الساعة ١٢ ظهراً (رام الله) تكون الساعة في موسكو ١ بعد الظهر، وفي نيودلهي ٢:٣، وفي جاكرتا ٤ مساءً، وفي بكين ٥ مساءً، وفي سيدني بأستراليا ٧ مساءً، وفي سان فرانسيسكو بكاليفورنيا ١ ليلاً، وفي واشنطن ٤ فجراً، وفي لندن والرباط ٩ صباحاً، وفي الجزائر ١٠ صباحاً، وفي ليبيا ومصر والأردن وسوريا ١١ صباحاً، وفي العراق والسعودية واليمن ١٢ ظهراً.

منطق هذا الأمر أن الشمس تكون قد أشرقت في الصين فعندنا في رام الله ظلام، وتشرق الشمس عندنا في رام الله فهي عندئذ تتوسط السماء في الصين فالوقت عندهم ظهر. الشمس تسير من الشرق إلى الغرب وتسير سماء كل منطقة بالتعاقب، ولأن الأرض مكورة فالشمس تنير سماء الدنمارك وهي مائلة لذا فيلادهم باردة، وتوسع أرض السودان وهي عمودية فيلادهم حارة. سيقول لك معلم الجغرافيا إن الشمس لا تسير بل نحن الذين ندور. النتيجة واحدة.

سؤال: وكيف نراعي التوقيت الصيفي؟ عليك بالإنترنت.



عصر الدولة القومية



راز المطفف إثنيات العالم فكانت ثلاثة عشر ألفاً، ورازها المكثف فكانت عشرين ألفاً، وسواء أخذنا بقول المطفف أم المكثف فهي كثيرة. فهل نرسم على وجه خريطة العالم آلاف الدول لآلاف الأقليات؟ من أين لنا بكل هذه الألوان! لم يبق من الدويلات البالغة الصغر في العالم سوى بعدد أصابعك: **أندورا**: تجدها بعد تكبير الخريطة كثيراً قابعة بين جبال البرانس، فيما بين فرنسا وإسبانيا.

ليشتنشتاين: إسفين مدقوق بين سويسرا والنمسا.

سان ريمو: في الريفيرا الإيطالية على ساحل المتوسط.

إمارة موناكو: على الريفيرا الفرنسية، ولها ارتباط رسمي بفرنسا، وفيها مونتي كارلو حيث الكازينو الشهير، وكانت ملاذاً ضريبياً قبل أن يصفعها ديغول.

الفاتيكان: أصبحت أصغر دويلة في العالم عندما جعلها موسوليني في معاهدة لاتران أقل من نصف كيلومتر مربع.

منذ مئة سنة والعالم الغربي يقدر مفهوم «الدولة القومية». حتى لقد غدت الدولة القومية الحيز الجغرافي «المحترم» الوحيد في الدنيا وفي التاريخ. وما أبعد هذا عن الحقيقة. فما نحن أولاء نكتشف أن دول العالم المئتين تحتوي على آلاف الأقليات. فهي إذن ليست الكيانات الصافية المنشودة. غير أنها هي الواقع الذي ما زلنا نعيشه منذ تفكيك الاستعمار إمبراطوريات المايا والأزتك ودولة بني عثمان ودولة الهابسبورغ النمساوية الهنغارية، ثم تفكيكه نفسه عندما حلت بريطانيا وفرنسا إمبراطوريتيهما. غير أن الإمبراطورية القيصرية الروسية عاشت سبعين سنة بأنفاس الحكم الشيوعي. فكانت دولة لينين آخر ما يتفكك. وكان من نصيب الجيل الحالي أن يرى هذه السوبرنوفات بعينه.

ولما كنا نتحدث عن خريطة العالم، لا عن تاريخه، نقصر كلامنا على ما نراه على الخريطة اليوم. نصف حال العالم الآن، إذ هو يقدر الدولة القومية. غير أننا ندرك أن أفول عصر الإمبراطوريات لا يعني أن التاريخ عاجز عن إعادة نفسه. ولئن أخفقت محاولات العرب في مئة السنة الأخيرة في أن يجمعوا أنفسهم تحت لواء دولة فقد يفلحون في الاجتماع ضمن إمبراطورية، عندما تدور عجلة الزمن، ويبدأ البشر في إعادة إنتاج الشكل الإمبراطوري. لقد أتيح لحلم الوحدة العربية ومضة برق في بداية الربيع العربي رأيناه فيها ممكناً. فقد هبت الشعوب العربية معاً على غير ميعاد، وتبين للغريب والقريب أن العرب يحس بعضهم ببعض. ورمى مراسلو رويترز - وإن لبعض الوقت فقط - مصطلح الشرق الأوسط، وتذكروا أن هناك مصطلح «العالم العربي».

ويرسم المتشددون الإسلاميون اليوم في أذهانهم - وعلى الإنترنت أيضاً - خريطة للعالم الإسلامي.

لكننا - مثلما منعنا أنفسنا من الكلام عن التاريخ - سنعرض أنفسنا من استعراض أحلام المستقبل أو توقعاته.

لقد عجب الناس كيف تفككت الإمبراطورية السوفييتية بيسر، ودون حروب طاحنة. لكن، تبين أن تلك العملية الجراحية تركت نزيفاً داخلياً. وسنعرض لذلك ببعض التفصيل لاحقاً.

Mediterranean Sea



Libya

Cairo

Egypt

Lake Nasser

Aswan Dam

Nile

Chad

Khartoum

Sudan

Blue Nile

Eritrea

Lake Tana

Djibouti

Red Sea

Ethiopia

Central African Republic

White Nile

Somalia

Democratic Republic of the Congo

Uganda

Kenya

Lake Victoria

Rwanda
Burundi

Tanzania

Indian Ocean

وادي النيل

مربع، وثلاثة مثلثات، وشبهها منحرف

النيل، والمثلث الأول

«أصبح» النيل الآن أطول أنهار العالم، ٦٨٥٣ كم. لكن التنافس بينه وبين الأمازون على المرتبة الأولى ما زال قائماً. ذلك أن منابع النيل، التي ظنوا أنهم اكتشفوها واستراحوا قبل مئة وسبعين سنة، ما زالت موضع جدل. وآخر ما حرر - في سنة ٢٠١٠ - كان أنّ أبعد منبع للنيل يقع في بوروندي. فكيف يقيسون طول النهر الكبير؟ لا يجمعون أطوال روافده، فهذه مسألة شائكة، بل يجعلون طوله المسافة من أبعد نقطة تغذّيه حتى المصب. ومصب النيل في المتوسط، وهو لا يسكب في المتوسط سوى صباية مصرّدة، إذ يستهلك ناس النيل وشمس إفريقيا كل ماء النيل تقريباً. ومن حيث غزارة المياه فالنيل يتراجع إلى المرتبة السابعة عالمياً.

تصب أنهارٌ عدة في بحيرة فكتوريا، ومن البحيرة يتجه «النيل الأبيض» شمالاً: يعبر أوغندة فجنوب السودان فالسودان. وعند الخرطوم يلاقه النيل الأزرق قادماً من إثيوبيا. ويصنعان عند الخرطوم إشارة مرسيدس تقسم العاصمة السودانية إلى: الخرطوم، وخرطوم بحري، وأم درمان، ومن هنا تسميتها «العاصمة المثلثة».

وقبل أن يدخل النيل مصر يرفده رافد أخير هو نهر عطبرة الموسمي القادم أيضاً من إثيوبيا.

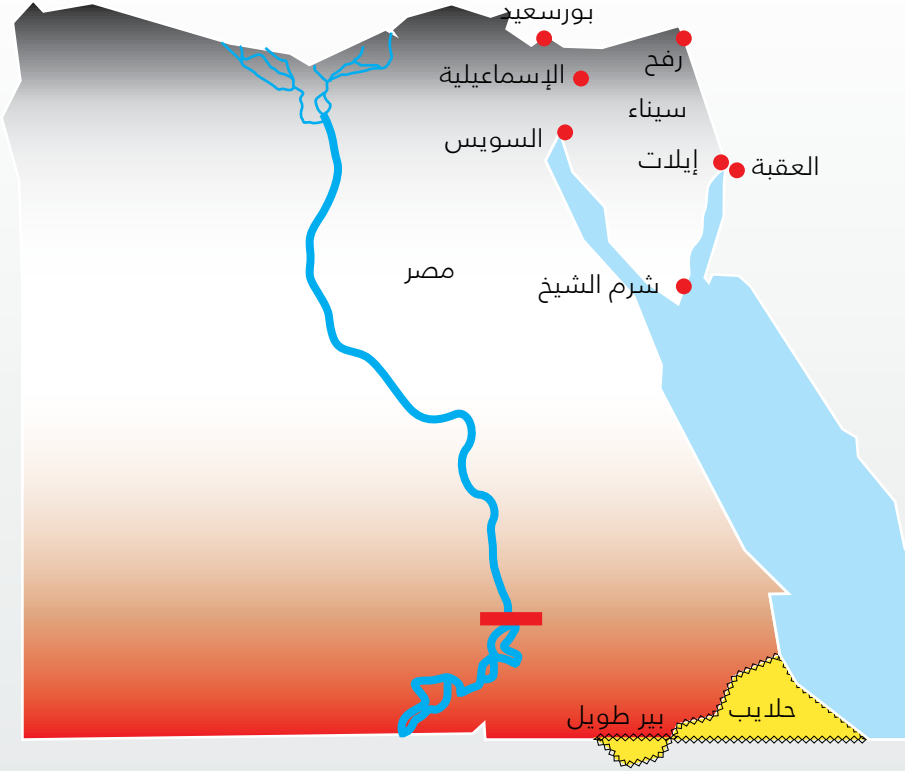
ثم يمضي النيل في صحرائه ويدخل مصر، وبعد نحو ٣٠٠ كم يقف في وجهه السد العالي مكوناً بحيرة ناصر، التي يسمون جزءها السوداني بحيرة نوبية.

وبعد القاهرة بقليل يتفرع النيل إلى فرعي دمياط شرقاً ورشيد غرباً، وبين الفرعين مثلث كحرف «دلتا» اليوناني، فهذه دلتا النيل الخصبة، المثلث الأول الذي يصادفنا في وادي النيل.

نعود إلى النيل الأزرق القادم من إثيوبيا والذي يشكل نحو ثلثي مياه النيل التي تصل إلى مصر. قبل دخول النيل الأزرق السودان بـ ١٥ كم فقط يقف في وجهه «سد النهضة» الإثيوبي. الغرض الأساسي من سد النهضة توليد الطاقة، ولكن المخاوف المصرية، وإلى حد أقل السودانية، كبيرة من انخفاض الحصاة المائية. الأمر يعتمد على سرعة ملء البحيرة وراء السد، وعلى ازدياد البخر، وعلى عناصر أخرى ما زالت قيد البحث، وقيد التخمين أيضاً. سد النهضة مسألة سياسية كبيرة بين إثيوبيا والسودان ومصر.

«مصر هبة النيل». قصّد هيرودوت بعبارته المشهورة أن مصر بلد أهداه النيل إلى العالم، ولأنها البلد الأكبر والأقوى في وادي النيل كله فسوف يكون لحرمانها من قدر كبير من ماء النيل عقابيل سياسية كثيرة، ويجدر بالصحفي أن يتابع قصة سد النهضة جديداً، ثم بعد أن يكتمل، وحين يمتلئ، وبعد أن يمتلئ. وثمة دراسات إثيوبية ومصرية تشير إلى أن سد النهضة قد يكون نافعاً حتى لمصر، إذ ينظم التدفق في حال الجفاف فيحول دون شح الماء، وفي حال الغمر فيمنع الفيضان.





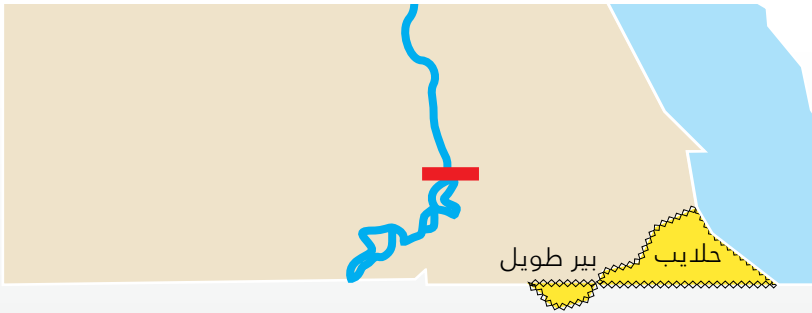
المثلث الثاني

صحراء سيناء ذات ثلاث أضلاع: خليج العقبة مع حد بري مع إسرائيل ضلع، وخليج السويس مع قناة السويس ضلع، والبحر المتوسط الضلع الشمالية. في زاويتها العليا شرقاً تقع مدينة رفح المقسومة بحدود برية: نصفاً في فلسطين ونصفاً في مصر. وأهميتها سياسياً أنها مصدر إدخال الأسلحة والبضائع عبر أنفاق سرية إلى قطاع غزة المحاصر. في قطاع غزة مليون ونصف، وفي سيناء مثلهم عدداً، ولعل لعبة القط والفأر المتمثلة في تجارة الأنفاق نموذج فريد. الحدود البرية بين القطاع ومصر، وهي نحو ١٢ كيلومتراً، صنعت أخباراً كثيرة.

في منتصف هذه الضلع تقع طابا المصرية، وبجوارها قرية أم الرشراش، التي أقيمت على أنقاضها إيلات بإسرائيل، وبجوارها العقبة الأردنية.

وفي رأس المثلث السفلي على البحر الأحمر منتجع شرم الشيخ. الشعبة الغربية لسيناء هي خليج السويس وفي رأسه السويس المدينة، ثم قناة السويس التي تتوسطها البحيرات المُرّة ثم الإسماعيلية، ثم تبلغ القناة شاطئ المتوسط بعد مسيرة ١٩٣ كم، وعند نهايتها على المتوسط تقع بورسعيد نسبة إلى سعيد باشا الذي بُدئ بحفر القناة في عهده،

ومقابل بورسعيد على الجانب السينائي من القناة تقع بورفؤاد نسبة إلى ملك مصر وقت الفراغ من بناء المدينة عام ١٩٢٦. تشكل مصر على الخريطة مربعاً. والطريف أنها تقدم للمهتم بمساحات البلدان مقياساً مميّزاً للمقارنات، فهي علاوة على شكلها المربع ذات مساحة مميزة. مساحة مصر مليون كم^٢. نتجه إلى الأسفل، إلى مصر العليا.. وهذا من الأعياب الجغرافيا.. فجنوب مصر الذي يكون في «أسفل» الخريطة يسمونه مصر «العليا»، وهو الصعيد طبعاً. نعود إلى الحدود بين مصر والسودان.



المثلث الأخير، وشبه المنحرف الأول

يقع مثلث حلايب على البحر الأحمر. كانت بريطانيا المحتلة قد رسمت خط الحدود بين مصر والسودان مستقيماً على خط عرض ٢٢، ثم رأّت القوة المحتلة أن بعض القبائل السودانية ترعى ماشيتها شمالاً فأخذت من مصر مثلثاً وجعلت إدارته إلى الخرطوم. السودانيون يقولون بريطانيا رسمت أولاً ورسمت ثانياً، وليس معقولاً أن نأخذ بعض ما رسمته ونترك بعضاً. ومصر تقول حلايب كانت مصرية، وانتقلت للإدارة السودانية لغرض معين، لكن ليس بشكل دائم. ويستعمل الساسة في البلدين مثلث حلايب بكفاءة لتخفيف الاحتقان الداخلي بتهميش العامة، كلما دعت الحاجة.

يَماشُ مثلث حلايب في نقطةٍ شبه منصرف اسمه «بحير طويل». وهي منطقة جرداء اقتطعتها بريطانيا من السودان وألحقها بمصر لأن بعض القبائل النوبية المصرية كانت تغشاها. الطريف أن مصر والسودان كلتاهما لا تعترفان ببير طويل خشية أن يصبح موضع مقايضة بحلايب الأكبر.



ولادة مملكة «شمال» السودان

في عام ٢٠١٤ أهدى الأميركي جرميا هيتون إلى ابنته إميللي في عيد ميلادها السابع هدية. الطفلة كانت تحلم بأن تصبح أميرة. فما كان من أبيها إلا أن ذهب إلى منطقة «بير طويل»، ورفع علماً خاصاً معلناً نفسه ملكاً على «بير طويل». وبالتالي أصبحت إميللي أميرة. (المصدر: الجزيرة نت ١١ مايو/ أيار ٢٠١٥). لا يزال الأمر في طور النقطة، لكن هيتون ليس الوحيد، ولا الأول، الذي وضع اسمه على شبه المنحرف المسمى بير طويل.

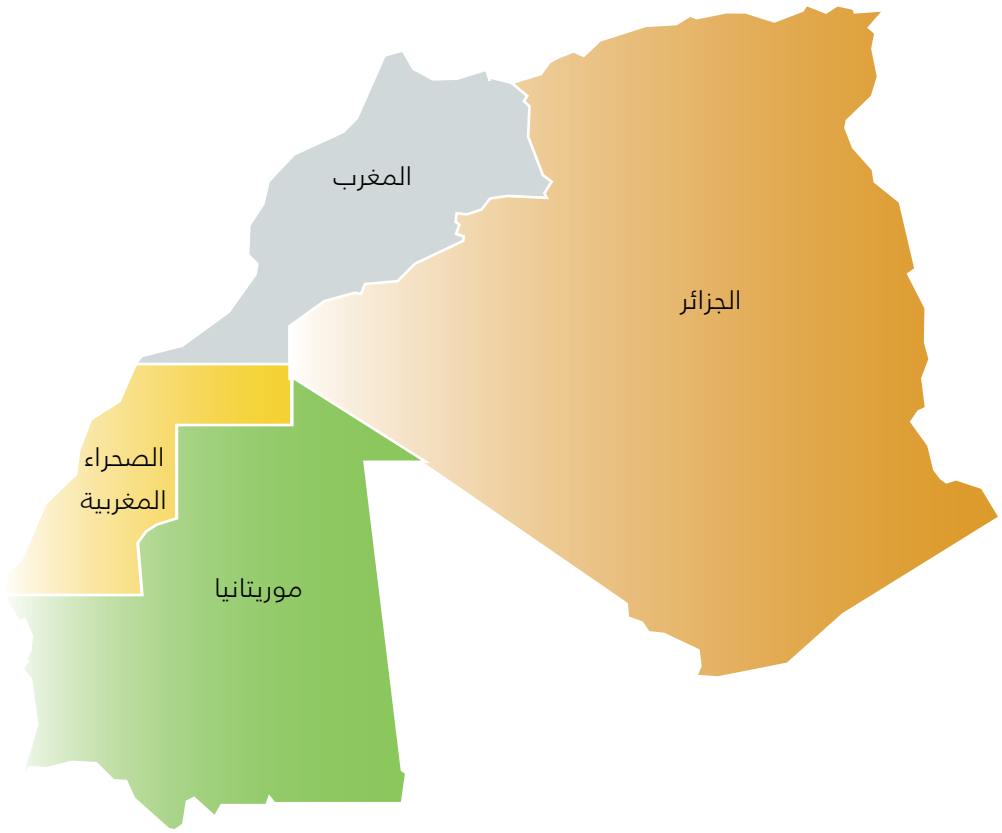
شبه المنحرف الثاني

هذه منطقة أبيي على الحدود بين دولتي السودان، وجنوب السودان. وهي الآن تحت إدارة الخرطوم، وتطالب بها دولة جنوب السودان. ولكل بلد مجموعة من الحجج. لكن السبب الحقيقي نطف أبيي. هناك في ذيل دارفور أرض «كافيا كنجي» التي تطالب بها دولة الجنوب، مطالبة خافتة، فلا نطف فيها، بل فيها مركز لتخزين وتهريب العاج، ومنها ينطلق جيش الرب المسيحي المتشدد التابع للقيس جوزيف كوني، والممول بتجارة العاج المحرمة، لشن هجمات في أوغندا ووسط أفريقيا. وبين دولتي السودان، وجنوب السودان عدة مناطق صغيرة لا تزال موضع نزاع.



دارفور

بعد أن فقد السودان ربع أرضه وربع سكانه باستقلال «جنوب السودان»، ٢٠١١، تخلص من عبء حرب أهلية دامت عقوداً. ولكن دولة السودان ظلت تعاني من مشكلة دارفور. يقول الرئيس السوداني إن القتلى في حروب دارفور كانوا ١٠ آلاف، وتقول الأمم المتحدة إنهم كانوا ٣٠٠ ألف. مجلس الخبراء التابع للأمم المتحدة يقول إن ٣,٣٠٠ قرية قد دمرت في عام ٢٠١٤ وحده. هناك مبادرات سلام، وهناك مشكلة لاجئين جدهم يقيم في تشاد المجاورة.



المغرب

موريتانيا والمغرب والجزائر

صعب على العربي تقبُّل أو حتى فهم التعادي بين المغرب والجزائر. هنا نكتفي ببعض المظاهر الحدودية. في بلدة تندوف بالجزائر معسكر لجبهة البوليساريو التي تناوئ الحكومة المغربية مطالبة باستقلال منطقة «الصحراء الغربية». وكان المغرب قد زحف شعبياً وعسكرياً فيما عرف بـ «المسيرة الخضراء» على الصحراء الغربية التي كانت تسمى في الأطلس القديمة الصحراء الإسبانية. كان ذلك في نوفمبر ٧٥ قبل أسبوعين من

وفاة رجل إسبانيا القوي الجنرال فرانكو. ورحلت إسبانيا عن المنطقة في غضون ثلاثة أشهر بعد توقيع اتفاقية ثلاثية نالت بها موريتانيا ثلث الصحراء والمغرب ثلثها. وعارضت الأمر الجزائر، ودعمت حركة البوليساريو (الجهة الشعبية لتحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب) التي بدأت تشن هجمات بهدف تحقيق استقلال الصحراء، واتخذت بلدة تندوف الجزائرية منطلقاً لعملياتها. عام ٧٩ انسحبت موريتانيا من الصحراء فحلت المغرب محلها. واستمرت عمليات البوليساريو. واستمر النزاع المغربي الجزائري. وقد أنشأت المغرب في أوائل التسعينات جداراً رملياً على طول الصحراء الغربية لمنع الهجمات، والتهريب. ومنذ ١٩٩١ تشهد المنطقة هدنة، لكن دون حل النزاع، ولم تفلح الأمم المتحدة، رغم كثرة المساعي، في التوصل إلى حل. وبسبب هذه المشكلة خرجت المغرب من منظمة الوحدة الإفريقية، ثم عادت إليها بعد سنوات.

في الأرض الصحراوية وراء الجدار الرملي تقيم البوليساريو حكمها تحت اسم «الجمهورية العربية الصحراوية الديمقراطية» ومركزها تفاريتي، وتسمي تلك الأرض المنطقة المحررة، وتسميها المغرب المنطقة العازلة، وهي نحو خمس مساحة الصحراء الغربية، والأخماس الأربعة الباقية بين الجدار والمحيط الأطلسي تحت إدارة المغرب.

القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي

تنظيم مهلهل لم يتمكن من إرساء قواعده في مناطق ثابتة. وقد تطور بعد انتهاء الحرب الأهلية الجزائرية التي قضت فيها الحكومة على جل نفوذ الإسلام السياسي.

لم تتأثر المغرب بالربيع العربي كثيراً، ربما لرسوخ الحكم فيها تاريخياً؛ ولا الجزائر، ربما لأن الحرب الأهلية في التسعينات أقنعت الناس بأنهم دفعوا ثمناً باهظاً في السابق؛ ولا موريتانيا التي استعاضت عن الانتفاضة باحتجاجات سلمية. أما تونس فهي التي بدأت الربيع العربي.



توفي الشاب محمد البوعزيزي في ٤ يناير ٢٠١١، بعد أسبوعين من إحراقه نفسه. وبعد أسبوع من وفاته أرغمت الاحتجاجات الرئيس زين العابدين بن علي على الفرار من البلاد. بعد المخاضات السياسية الأولى تصدرت حركة النهضة الإسلامية الحكم زمناً؛ ثم ترأس تونس، بعد انتخابات ناجحة، الباجي قايد السبسي أحد مخضرمي الحكم السابق.

ليبيا

قتل العقيد القذافي في أكتوبر ٢٠١١. سبقت مقتله ثورة دعمها الغرب عسكرياً، وتبعته مقتله مخاضات سياسية وعسكرية. تبلور النزاع عام ٢٠١٤ بين قوات الكرامة بقيادة خليفة حفتر في الشرق مدعومة من مصر والغرب، وقوات فجر ليبيا ذات التوجه الإسلامي المتمركزة في طرابلس. وفيما بينهما - في سرت وما حولها - تحصنت قوة متشددة تنتسب إلى تنظيم الدولة الإسلامية. من المفيد لقراءة ما يمكن أن يحدث تذكر أن اسم «ليبيا» ابتداءً إيطالي يعود إلى عام ١٩٣٤، وأن المنطقة قبلئذ، وأثناء الحكم العثماني الذي انتهى عام ١٩١١، كانت عبارة عن ولايات ثلاث هي: برقة وطرابلس وفزان. على أن المقاومة ضد الإيطاليين بقيادة عمر المختار، ومعاناة الليبيين بالتساوي تحت نظام القذافي، ثم الثورة التي أطاحت به صهرت عناصر البلاد، وكونت شخصية ليبية متميزة.



آسيا العربية

فلسطين التاريخية

احتلت العصابات اليهودية ثلاثة أرباع فلسطين عام ١٩٤٨ بمساعدة بريطانيا ومباركة الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي، وأنشأت الكيان الإسرائيلي. وبقي من فلسطين التاريخية قطعة ضمها الأردن فأصبحت الضفة الغربية لنهر الأردن، وقطعة ضمتها مصر هي قطاع غزة. وفي حرب ١٩٦٧ احتل الكيان الإسرائيلي الضفة والقطاع كليهما، وهضبة الجولان السورية، وصحراء سيناء المصرية.

ما تزال هضبة الجولان محتلة، وأما صحراء سيناء فاستعادتها مصر بالتفاوض بشرط نزع السلاح الحاشد.

وعقدت منظمة التحرير الفلسطينية اتفاق أوسلو مع إسرائيل عام ١٩٩٣، وبمقتضاه قُسمت الضفة إلى ثلاثة أقسام: أ، ب، ج. فالمنطقة أ تضم المدن الكبيرة، وتسيطر عليها منظمة التحرير، التي أخذت تعرف باسم السلطة الوطنية الفلسطينية. والمنطقة ب تضم القرى الكبيرة ومساحات من أراضيها، وتسيطر عليها إسرائيل عسكرياً بينما تديرها السلطة الفلسطينية مدنياً. والمنطقة ج تديرها إسرائيل بالكامل، في انتظار عقد اتفاق نهائي. وتقرر أن يتم التوصل إلى حل نهائي بعد خمسة أعوام. ونكتب هذا عام ٢٠١٧، بعد مضي ٢٤ عاماً، ولما يتم التوصل إلى حل نهائي. غير أن إسرائيل في هذه المدة أنشأت مستوطنات داخل الأرض الفلسطينية أصبح يعيش فيها قرابة نصف مليون يهودي. والدولة المحتلة ترسل قواتها إلى المناطق أ وب وج دون استئذان. ويقوم بين السلطة الفلسطينية ودولة الاحتلال بمقتضى اتفاق أوسلو تنسيق «أمني» بهدف منع العمليات المسلحة. وفي الجزء الآخر، قطاع غزة، استولت حركة حماس الإسلامية على الحكم عام ٢٠٠٧، وشنت عليها إسرائيل عدة حروب، وفرضت على القطاع حصاراً. ورغم عدم وجود قوات إسرائيلية داخل القطاع فهو

في حكم المحتل لأنه تحت الحصار. وتساهم مصر في إحكام هذا الحصار. يتم بين الفينة والأخرى الحديث عن «مصالحة» بين السلطة بزعامه فتح، وحكومة غزة بزعامه حماس، ولكن الجانبين، اللذين يعيشان عيشة ريعية، منتفعان مالياً من الفرقة إذ ينالان تمويلًا من جهات شتى قد ينخفض كثيراً لو حدثت المصالحة.

خريطة الضفة الغربية «الواقعية» تتبدل كل يوم على إيقاع التوسع الاستيطاني لدولة الاحتلال. وتصدر الهيئات الدولية أطالس فيها خرائط مفصلة ومعلومات كثيرة توضح التمدد الاستيطاني، وجمدار الفصل العنصري، وهي متاحة ورقياً باللغة الإنجليزية، ويتم تحديثها. وللصحفي أن يستعين بخرائط ينشرها «مركز المعلومات الإسرائيلي لحقوق الإنسان في الأراضي المحتلة» (بتسليم) مع الانتباه إلى تواريخها. هذه الخرائط تروي بخطوطها المعقدة وألوانها الزاهية قصة نهش الاحتلال لفلسطين، فهو كالجزار الذي يقطع البضعة بعد البضعة من لحم ذبيحته وهي على قيد الحياة.

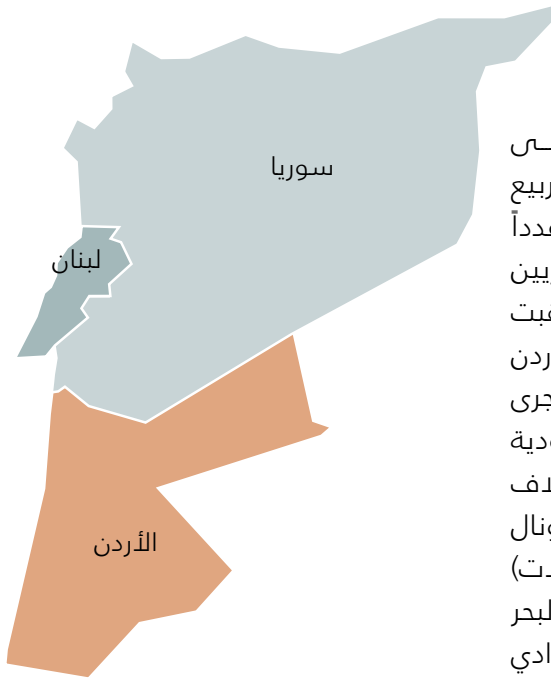
قال المعري:

رَوْحُ ذَبِيحِكَ لَا تُعْجِلُهُ مِيتَتُهُ فَتَأْخُذُ النَّحْصَ مِنْهُ وَهُوَ يَخْتَلِجُ

ولخرائط «التقسيم» نسخ عدة بحسب خطط تقسيم فلسطين قبل النكبة، وأشهرها خريطة التقسيم التي كانت مدار بحث في الأمم المتحدة والتي رفضها العرب.

وقد حققت مساعي السلطة الفلسطينية، إلى إقامة دولة مستقلة وذات سيادة في الضفة وغزة عاصمتها القدس، مكسباً رمزياً يتمثل في قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة بأن فلسطين دولة (مراقب غير عضو)، وُرفِع علم فلسطين في مقر الأمم المتحدة بنيويورك، بجانب أعلام الدول الأخرى، في أيلول/ سبتمبر ٢٠١٥.





الأردن

استطاع الأردن الحفاظ على استقرار كبير في خضم الربيع العربي وثوراته. واستوعب عدداً كبيراً من اللاجئين السوريين أثناء الحرب الأهلية التي أعقبت ثورة سوريا ٢٠١١. حدود الأردن ليست عرضة لنزاع، وقد جرى تبادل للأراضي مع السعودية عام ١٩٦٥، شمل بضعة آلاف من الكيلومترات المربعة ونال الأردن (من ضمن التعديلات) ١٨ كيلومتراً إضافية على البحر الأحمر، ونالت السعودية وادي

سرحان شرقاً. وتوصف حدود الأردن بأنها (عطسة تشرتشل). فقد كتب تشرتشل أنه رسم حدوداً لدولة جديدة بعد تناوله «غداء سائلاً» بحسب التعبير الإنجليزي، أي غداء مصحوباً بكؤوس النبيذ، في القاهرة عام ١٩٢١. تلك الدولة هي الأردن، رسمها وزير المستعمرات البريطاني، وكذا كان ونستون تشرتشل وقتذاك، لكي يجد مكاناً للأمير عبد الله ابن شريف مكة. وجعل تشرتشل قطعة أرض في الدولة الجديدة تمتد نحو العراق لتسهيل تزويد الطائرات البريطانية المتجهة للعراق بالوقود، ثم انصرف السياسي المشهور فصنع زاوية حادة في خاصرة الأردن الغربية جعلت حكومة ابن سعود تبعد بمئة وستين كيلومتراً فقط عن القدس. وهذه الزاوية لا مبرر لها.. لذا شنع المشنعون على تشرتشل وقالوا قد عطس عطسة وهو يرسم الحدود فانزلق القلم. وثمة أرض «الباقورة» ومساحتها نحو ٦ كم^٢، اقتطعتها إسرائيل من الأردن عام ١٩٥٠، ونص اتفاق الصلح بين البلدين عام ١٩٩٤ على أن تعيدها إسرائيل بعد ٢٥ سنة.

سوريا

تخوض حربها الأهلية بعد ثورة سلمية رافقتها عملية تقتيل عشوائية من قوات النظام، أفرزت عدداً من المنظمات العسكرية ذات الطابع الإسلامي أيديولوجياً. تدخلت روسيا عسكرياً في سوريا عام ٢٠١٥. ووقفت الدول

الغربية تتفرج مؤملة أن تغرق روسيا في المستنقع السوري بأكبر عمق ممكن. ساعد النظام السوري تنظيم الدولة الإسلامية في الانطلاق مما أدى إلى احتراب فيما بين الفصائل المعارضة للنظام. ضحايا الحرب الأهلية في سوريا، من بدء الثورة في ٢٠١١ حتى أغسطس/ آب ٢٠١٥ بحسب الأمم المتحدة، ربع مليون قتيل. وبحسب إحصاء «أطباء في سبيل حقوق الإنسان» فإن ٩٥٪ من القتلى في صفوف الأطباء والمعالجين سقطوا بنيران قوات النظام. وبحسب منظمة العفو الدولية (سبتمبر ٢٠١٥) فإن أكثر من نصف سكان سوريا غدوا إما من اللاجئين (خارج سوريا) أو النازحين (داخل سوريا).

تنظر المعارضة السورية، السلمية العائش أفرادها في أوروبا، إلى الولايات المتحدة كي تصنع لها وجوداً، ولكن الولايات المتحدة لا تفكر بسوريا: في ١٠ سبتمبر/ أيلول ٢٠١٤ قال متحدث باسم الأبيض للصحفيين: «كما تعلمون فإن للسعودية حدوداً طويلة مع سوريا!» علق صحفي بالقول: «أنفق البيت الأبيض الملايين على الأزمة السورية، فهلاً اشترى لمتحدثه خريطة بخمسة دولارات». بالطبع لا حدود بين سوريا والسعودية.

لبنان

دولة فيها ١٨ طائفة، والطوائف موزعة في كل أنحاء البلد ومختلطة بشدة، مما يحمي لبنان من خطر التقسيم، لكنه يفتح باب المحاصصة على مصراعيه. والمحاصصة الطائفية هي القانون السياسي غير المكتوب للبنان: فرئيس الجمهورية ماروني، ورئيس الوزراء سني، ورئيس البرلمان شيعي. وتنسحب المحاصصة على جل الوظائف بعد ذلك. وتمر لبنان بأزمة كلما أجاها المخاض إلى انتخاب رئيس جمهورية. وقد ظل لبنان سنتين ونصفاً - بين مايو/ أيار ٢٠١٤ وأكتوبر/ تشرين الأول ٢٠١٦ - بلا رئيس جمهورية. استضافت لبنان عدداً كبيراً من اللاجئين السوريين، وتدخل حزب الله اللبناني في الحرب الأهلية السورية في صف النظام السوري، ويعيش في لبنان نحو ٤٠٠ ألف فلسطيني لاجئين محصورين في مخيماتهم لا يسمح لهم بالسكنى أو العمل خارجها إلا بقيود صارمة. لبنان أنجح الدول العربية غير النفطية اقتصادياً، ومعدل دخل الفرد السنوي فيه ١٨,٠٠٠ دولار، بحسب البنك الدولي.



العراق

لا تغيير على خريطة العراق لأن الدولتين القويتين في الإقليم، إيران وتركيا، لا تسمحان بقيام دولة كردية في العراق، فلدى كل منهما من المواطنين الأكراد أكثر مما لدى العراق. على أن للأكراد «دولة الأمر الواقع» في العراق وعاصمتها أربيل، ويطلب الأكراد في العراق بمناطق أوسع. على أن الحلم الكردي الكبير - في امتداده الأقصى - يتمثل في دولة تطل على بحرين: الخليج العربي، والبحر المتوسط. يمثل تنظيم الدولة الإسلامية تحدياً للحكومة العراقية التي قامت على أساس طائفي بعد الغزو الأميركي ٢٠٠٣، وهو بأيديولوجيته المتطرفة المستندة إلى العنف يستهوي المغامرين، ويحقق بعض الصفقات الإقليمية الخفية مما ضمن له البقاء بأطول مما كان متوقعاً.

دول الخليج

استقرت النزاعات الحدودية بين دول الخليج العربية، بالتراضي أو بفرض الحل. ثمة أكثر من تداخل حدودي «ودي» بين عمان والإمارات عند رأس هرمز. التنمية البشرية في دول الخليج ضئيلة جداً رغم الثروات النفطية الكبيرة، وفي رأي الكاتب «بسبب» هذه الثروات أيضاً. ثمة وهم في بعض

دول الخليج العربية بأن رفع البنايات ومد الطرقات وإنشاء المؤسسات الفارغة من المضمون تسد مسد التنمية الحقيقية والاستثمار في عقل الإنسان. تشكل دول الخليج الست مجموعة سياسية ناجحة باسم «مجلس التعاون الخليجي» ويضم السعودية، وعمان، والإمارات، وقطر، والكويت، والبحرين. في دول الخليج عمالة وافدة تزيد في بعض البلدان عن ٨٪ من إجمالي عدد السكان (كما في قطر والإمارات). شهدت الكويت مثلاً محدوداً لعمالة وافدة مفيدة تنموياً تمثلت في آلاف المعلمين المصريين والسوريين والفلسطينيين، ثمة مثال محدود جداً ولكنه مضمخ بالدلالة: فقد جاء الممثل والمخرج المصري زكي طليمات إلى الكويت في أوائل الستينات فأطلق حركة مسرحية وتلفزيونية مهمة ساعدت الكويت في التعبير عن تراثها الكويتي مسرحياً وسينمائياً، وكانت نهضة مهمة في جانب محدد. تتخذ دول الخليج اسمها من الخليج العربي، الذي أطلق عليه أيضاً اسم الخليج الفارسي، فعلى جانبه الآخر إيران. ويسوغ العرب استعمالهم تعبير «الخليج العربي» بأن شاطئه الغربي عربي، وشاطئه الشرقي ليس فارسياً بل سكنه العرب منذ القدم، وقد كان الإقليم المحاذي للشاطئ الغربي يسمى إقليم «عربستان» ثم بدل الاسم في العهد البهلوي الأول إلى إقليم «خوزستان»، ١٩٣٦، وذلك ضمن سياسة التفريس المستمرة حتى اليوم، هذا رغم أن إيران كلها ليس بها من السكان ذوي العرق الفارسي سوى ما يتراوح بين ٥. و ٦٪. وتفضل بعض وسائل الإعلام العربية اتباع ما اتبعته وسائل الإعلام الغربية من تسمية الخليج العربي بـ «الخليج» فقط.

اليمن

رغم أن الوحدة اليمنية، ١٩٩٠، كانت ناجحة سياسياً، فإنها تركت مرارة، واشتد ساعد الحراك الجنوبي المطالب بالانفصال عن الشمال. اضطرب الوضع بعد الثورة اليمنية، خصوصاً بعد التحالف بين الرئيس المعزول علي صالح والحوثيين. ويخوض اليمن حرباً دخلت السعودية ودول الخليج طرفاً فيها، ودخلت إيران طرفاً داعماً بالسلاح.

إيران وتركيا



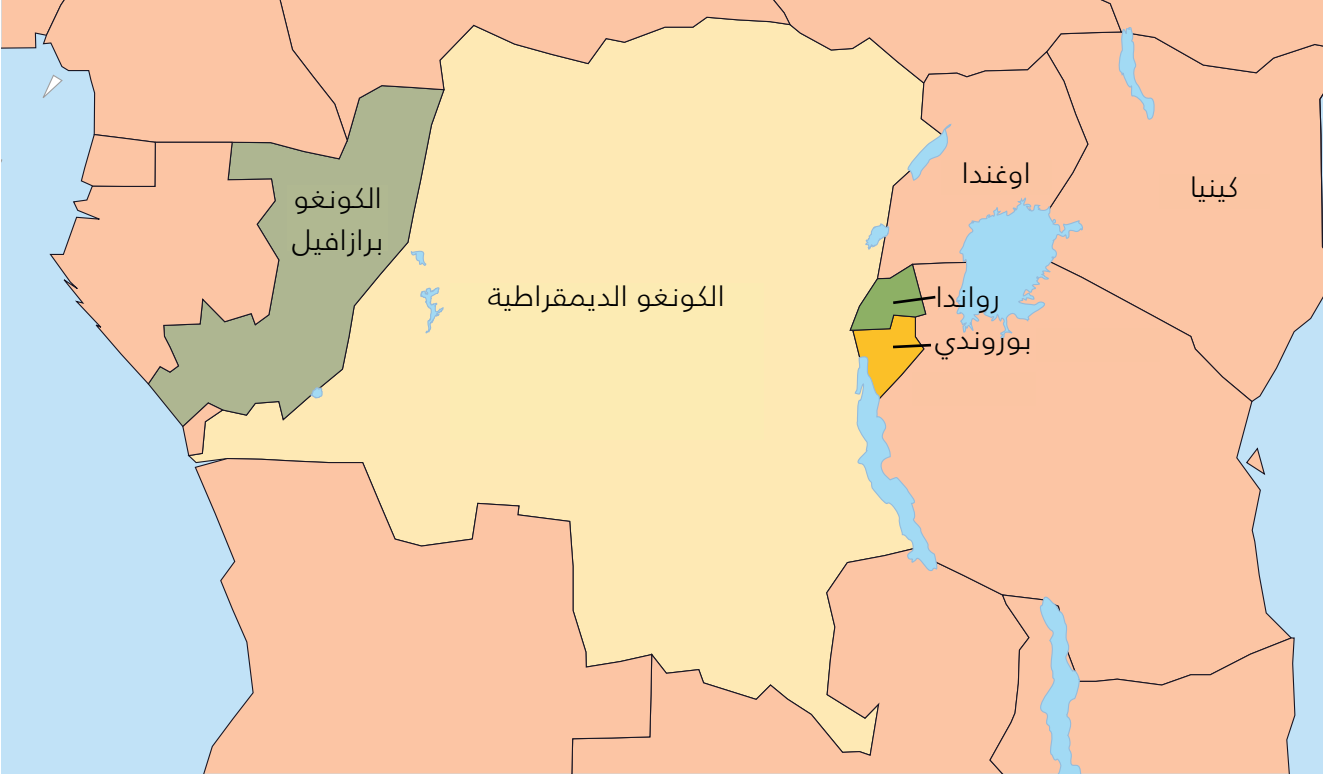
إيران

يتكلم نحو ٦٥٪ من سكانها الفارسية، وفيها عدة أعراق، ويدين الجميع تقريباً بالإسلام (٩٣٪ على المذهب الشيعي الاثني عشري، ونحو ٦٪ على مذهب السنة). تختلف التقديرات لعدم وجود إحصاء رسمي، واخترنا أرقاماً متوسطة مما هو متوفر. وإنما نحرص على ذكر أرقام بهذا الصدد لأن إيران دولة ثيوقراطية تملك قراؤها مؤسسةً دينية. وقد راوغت إيران دول الغرب بدهاء دبلوماسي نحو عشر سنين بشأن برنامجها النووي وتمكنت في مطلع ٢٠١٦ من التخلص من معظم العقوبات الاقتصادية. تمثل إيران قوة إقليمية صاعدة، وتدخل في صراع بالوكالة مع تركيا على أرض سوريا، وصراع شبيه في اليمن مع السعودية. وتملك إيران نفوذاً كبيراً في العراق عبر تحالف ذي طبيعة طائفية. وصلت إيران إلى ذروة ما يمكنها تحقيقه كقوة إقليمية في المنطقة العربية، وهي تحافظ على هذا النفوذ ببذل جهد ومال، لكنها استنفدت «بنك الأهداف»، ولم يبق لها إلا أن تقف ثم تتراجع.

تركيا

رغم أيديولوجية الدولة العلمانية فإن الحكم في تركيا يتخذ صبغة إسلامية بسبب توجهات الحزب الحاكم الذي تمكن من تقليص أظفار العسكر. بعد استيلاء تركيا اغتصاباً على لواء الإسكندرون عام ١٩٣٨ بالتواطؤ مع القوة المحتلة فرنسا، لم يبق لها مطامع حدودية في سوريا، ولكنها تراحم إيران على النفوذ فيها. وتفرض تركيا على الأكراد والعرب المقيمين بها سياسة تترك خفت حدتها مؤخراً. تركيا عضو في حلف شمال الأطلسي. وهي تستضيف مئات الآلاف من اللاجئين السوريين منذ الثورة السورية ٢٠١١. يعول المسلمون العرب على تركيا لوقف النفوذ الإيراني، تكتظ بالعرب شوارع إسطنبول، ولكن القوى الإسلامية العربية في شتى الدول عاجزة عن الفعل الذاتي، وعن تكوين أيديولوجية فعالة.

كشف فشل انقلاب العسكر في تركيا - يوليو ٢٠١٦ - عن أمور، وأكد أموراً: أولاً، الشعب التركي بشكل عام، سواء الخمسون بالمئة الذين انتخبوا حزب العدالة والتنمية بزعامة إردوغان أم الخمسون بالمئة الآخرون يريدون حكماً يستند إلى صندوق الاقتراع؛ ثانياً، الطبيعة الإسلامية للدولة التركية أمر راسخ وقادر على التعايش مع الطبيعة المدنية، ومن لم يكن من الساسة الأتراك يرضى أن يكون للدين أي شأن في السياسة فهو يدرك أن الصبغة الدينية (السنية) هي الصفة التي ستساعد تركيا في تكوين منطقة نفوذ واسعة في العالم العربي يحولها إلى قوة إقليمية كبرى. وبالتالي فإن مصطلح «العثمانيين الجدد» سيظل معنا حتى لو خرج الحكم من يد حزب إردوغان. تحول النظام السياسي التركي في استفتاء، جرى في أبريل ٢٠١٧، إلى نظام رئاسي يمنح الرئيس صلاحيات واسعة يتجاوز بعضها البرلمان.



إفريقيا جنوب الصحراء



موبوتو.. حكم ونهب الكونغو ٣٢ سنة وتركها للمذابح

الكونغو، فضيحة إفريقيا

المهم بالنسبة للدول المتقدمة أن تشتري خام «الكولتان» رخيصاً من الجماعات المسلحة في الكونغو. فهو يستخدم في صنع المكثفات الكهربائية داخل الأجهزة، وخصوصاً الحواسيب والهواتف المحمولة. وقد ابتليت الكونغو بهذا المعدن وبغيره، وفقدت أكثر من خمسة ملايين من أبنائها في حروب وصفها بعضهم بالحرب «العالمية» الإفريقية الأولى، بين ١٩٩٤ و ٢٠٠٣.

فبعد الإبادة الجماعية في رواندا، الدولة الصغيرة المجاورة، ١٩٩٤، فر نحو مليونين من أبناء قبيلة الهوتو إلى زئير (الاسم السابق للكونغو الديمقراطية)، وبدأت حرب ضروس شاركت فيها أيضاً قوات أوغندية وقوات قبلية كونغولية، ثم قوات أنغولية وناميبية وزمبابوية. في عام ١٩٩٧ فر موبوتو سيسي سيكو الذي حكم البلاد ٣٢ سنة قائماً على القمع وامتصاص خيرات البلاد وتهريبها إلى الخارج، ومات بعد ثلاثة

أشهر. وتولى الحكم لوران كابيللا، الذي اغتيل بعد أربع سنوات، وخلفه ابنه جوزيف كابيللا.

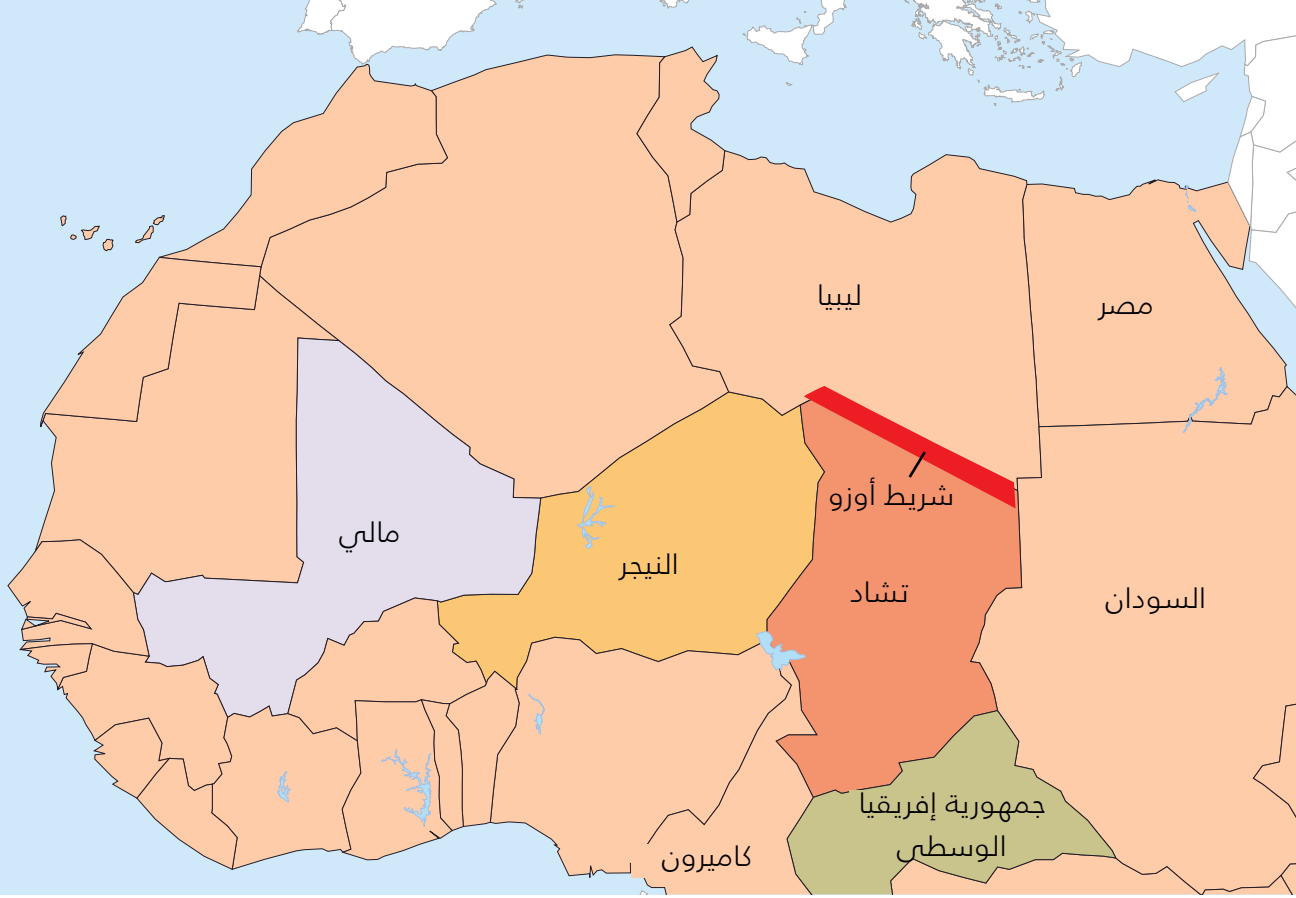
فضيحة الكونغو أنها تكاد تحتكر في أرضها أغزر نهر في إفريقيا، والثاني في العالم بعد الأمازون، وتحتزن في أرضها شتى المعادن، وهي ثانية أكبر دولة في إفريقيا مساحة بعد الجزائر، وسكانها أكثر من ٨٠ مليوناً، ولكن دخل الفرد السنوي فيها لا يصل إلى عُشر الدخل الفردي في مصر مثلاً.

تسيطر جماعات مسلحة من رواندا وبوروندي المجاورتين على مقاطعتي كيفو الشمالية وكيفو الجنوبية داخل الكونغو وتنهب معادنها. وتسيطر الحكومة المركزية في الكونغو على نحو نصف البلاد. العاصمة هي كينشاسا، وتقع على نهر الكونغو، الذي يصب في المحيط الأطلسي، وللكونغو منفذ ضيق إلى المحيط.

كان باتريس لومومبا من أهم قادة النضال للاستقلال عن بلجيكا، وترأس الوزراء، بعد انتخابات، لمدة ثلاثة أشهر تنقص عشرة أيام، في صيف عام ١٩٦٠. وقد زاد مرتبات الموظفين، واستثنى العسكر، وبدا أن سياسته تتجه نحو الاستعانة بالاتحاد السوفيتي، فقبض عليه ثم قتل في انقلاب شاركت في تدبيره عدة دول غربية. ومثل لإفريقيا أيقونة تحرر، تقارب ما مثله تشي غيفارا لأميركا اللاتينية.

الكونغو الأخرى

بجاء الكونغو الديمقراطية نحو الغرب تقع الكونغو برازافيل، وعاصمتها برازافيل. والعاصمتان، كينشاسا وبرازافيل، متقابلتان يفصل بينهما نهر الكونغو. والنهر يشكل معظم الحدود بين البلدين. ولعل الفاصل الأهم بين الكونغوليين أن الأولى كانت مستعمرة بلجيكية وأما الكونغو الصغيرة فكانت مستعمرة فرنسية. ولئن كان الاستعمار الفرنسي استعمار نهب، فإن الاستعمار البلجيكي تميز ببشاعته. مستوى الدخل الفردي في الكونغو برازافيل أكثر من عشرة أضعاف الدخل في الكونغو الديمقراطية.



تشاد

انتهت مشكلة قطاع أوزو الشمالي مع ليبيا بعد مناقشات استمرت أكثر من عقد في السبعينات والثمانينات، ولكنها قد تعود. فالمشكلة عميقة الجذور، وكل طرف يستند إلى اتفاقات عدة جرت بين المستعمر الإيطالي والفرنسي، هذا إلى حجج أخرى وإلى مطامع، فالقطاع غني بالمعادن. وإلى الشرق يقيم في تشاد أكثر من ثلث مليون لاجئ سوداني بسبب الحرب في دارفور (تقرير منظمة اللاجئين التابعة للأمم المتحدة ٢٠١٥).



بوكاسا الإمبراطور المخلوع - جمهورية إفريقيا الوسطى

جمهورية إفريقيا الوسطى

لم يثبت على بوكاسا، الذي نصب نفسه إمبراطوراً ثم أعلن أنه الحواري الثالث عشر للمسيح، أنه كان من أكلة لحوم البشر. فقد برأته المحكمة من التهمة، لكنها ثبتت عليه التهم الأخرى من فساد وابتزاز وقتل،

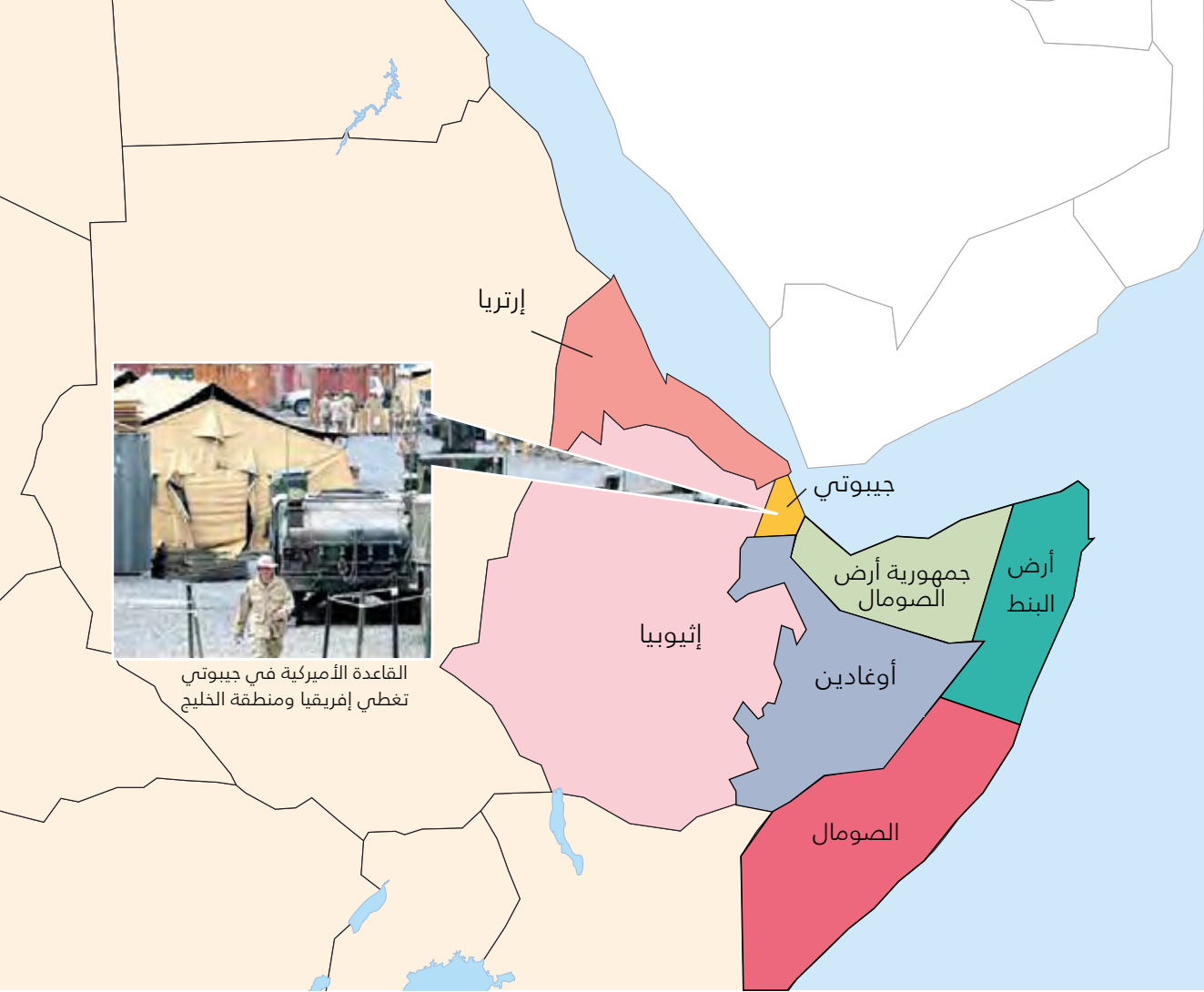
ومات حتف أنفه، ١٩٩٦، بعد إقامة جبرية. انتهى حكم بوكاسا عام ٧٧، ولكن البلاد الآن من بين أفقر دول العالم. تسعى ميليشيات «أنتي بالاك» المسيحية المتطرفة إلى تنصير مسلمي البلاد (ونسبتهم ١٥٪)، وفي عام ٢٠١٥ قامت بمجازر أدت إلى فرار عشرات الآلاف من المسلمين عبر الحدود. (عدد اللاجئين من جمهورية إفريقيا الوسطى والمقيمين خارجها نحو نصف مليون، بحسب الأمم المتحدة لعام ٢٠١٥).

النيجر

سميت باسم ثالث أنهر إفريقيا الذي يمر معظمه في نيجيريا ومالي ولكن سد كنداجي في النيجر يعدُّ بالكثير عند اكتماله. النزاع بين الحكومة والطوارق في الشمال انتهى بوساطة ليبية عام ٢٠٠٩.

مالي

لا نزاع حدودياً قائم في مالي. النزاع داخلي، تفاقم بعودة ماليين كانوا جنوداً في الجيش الليبي وذلك بعد سقوط نظام القذافي ٢٠١١، والمشكلة ذات بعدين: إثني وديني، فالطوارق لهم جماعات ذات مطالب، والعنصر الجهادي سار بموازة هذه المطالب، وكان لجماعات من الجزائر أثر في تفاقم الوضع. وفي يناير ٢٠١٣ تدخلت فرنسا عسكرياً ضد الجهاديين. وبعد سنتين جرت مصالحة في الجزائر العاصمة، هدأ بعدها الوضع، لكنه لم يصل إلى نهاية عميقة وحقيقية.



قرن إفريقيا

شكله كقرن الكركدن، ويضم (الصومال، وجيبوتي، وإرتريا، وإثيوبيا).

جيبوتي

هي الأصغر ولكنها تزامم إرتريا في إطلالتها على مضيق باب المندب من الجهة الإفريقية، وبها قاعدة عسكرية أميركية قرب مطار العاصمة ذات مهام تغطي إفريقيا ومنطقة الخليج العربي، وبها أيضاً قاعدة فرنسية. وميناء جيبوتي هو المنفذ البحري لإثيوبيا المحلّلة عن البحر، وهو مركز تموين مهم للسفن. جيبوتي دولة عربية.

إرتريا

تمتد على شاطئ البحر الأحمر، ورغم صغرها وفقرها فقد راكمت تراثاً عسكرياً بعد حرب طويلة بها عن إثيوبيا. الحكم مركزي وذو حزب وحيد، والرئيس مستمر في منصبه منذ الاستقلال الناجز عام ١٩٩٣، وهو أسياس أفويرقي، الذي عرف بعلاقاته الشخصية الوطيدة مع إسرائيل. وقد خاضت إرتريا حروباً مع إثيوبيا، وتدخلت عسكرية خارجية كان لليبيا وإسرائيل فيها دور. بحسب أرقام وزارة الخارجية الأميركية لعام ٢٠١١ فإن المسيحيين يشكلون ٥٠% من السكان، والمسلمين ٤٨%، ويوجد في إرتريا يهودي إرتري واحد اسمه سامي كوهين، (عمره عام ٢٠١٥، سبع وستون سنة). عدد سكان البلاد نحو سبعة ملايين نسمة.

إثيوبيا

أكبر دول قرن إفريقيا، مساحة وسكاناً. وتخوض مع إرتريا نزاعات حدودية مستمرة، على شريط متصل من المناطق المختلف على ملكيتها. وقد ضمت إثيوبيا إقليم «أوغادين» الصومالي ذا الأغلبية الصومالية المسلمة في القرن التاسع عشر، وتردد الإقليم بين الصومال وإثيوبيا أثناء الاحتلال الإيطالي فالبريطاني. ولا يزال محل نزاع وانتفاضات وحروب بين البلدين. تقيم إثيوبيا سدّاً على النيل الأزرق الذي ينبع من أراضيها، وهو مصدر قلق لمصر خاصة.

الصومال

دولة عربية توصف في العديد من الدراسات بالفاشلة. في الشمال أعلن الجزء الذي كانت بريطانيا تحتله الانفصال باسم جمهورية أرض الصومال، وفي الوسط أعلنت أرض البنط الحكم الذاتي وشكلت إدارة مستقلة، دون المطالبة بالانفصال، وبينها وبين جمهورية أرض الصومال نزاع حدودي. والثلاث الجنوبي يضم العاصمة مقديشو وقد تصدّر الأخبار طويلاً بسبب حركة المحاكم الإسلامية وذراعها العسكرية حركة «الشباب»، وبسبب القرصنة، وللصومال أطول شاطئ بين كل دول إفريقيا.



شرق إفريقيا

كينيا

بعد استقلالها عن بريطانيا ضيقت بلد «السفاري» على مواطنيها الهنود والأوروبيين لصالح الأفارقة، فهاجر معظمهم خصوصاً إلى بريطانيا. بقي من الهنود ما يشكل ١٪ من الـ ٤٥ مليون كيني.



عيدي أمين رئيس أوغندة.. صديق إسرائيل وليبيا والاتحاد السوفياتي.. انتهى لاجئاً في السعودية

أوغندة

رغم أن المسلمين فيها لا يتجاوزون الـ ١٥٪ فقد كان أشهر رؤساء أوغندة المسلم عيدي أمين. على أنه استند في حكمه، الذي استمر ثماني سنوات حتى عام ٧٩، إلى العلاقة الخاصة مع إسرائيل ثم مع القذافي ثم مع موبوتو رئيس الكونغو (زئير آنذاك)، ثم مع الاتحاد السوفياتي.

وسعى إلى تعزيز حكمه بتقتيل الخصوم (التقديرات الغربية: بين مئة ألف ونصف مليون قتيل/ المصدر ويكيبيديا). وكان فيه من صديقه القذافي مَسَّابه، فعندما قطعت بريطانيا العلاقات معه أضاف إلى ألقابه الكثيرة لقب «قاهر الإمبراطورية البريطانية». انهيار نظام عيدي أمين بعد الهزيمة في حرب مع تانزانيا على إقليم كاجيرا الذي حاولت أوغندا ضمه إليها. وانتهى عيدي أمين لاجئاً في ليبيا ثم في السعودية.

رواندا

من أصغر الدول الإفريقية مساحة، وشهدت حرب إبادة عام ٩٤. قام أبناء الأغلبية من الهوتو بذبح نصف مليون من أبناء الأقلية التوتسي على مدى ثلاثة أشهر، ولم يتحرك العالم. ثم تغلب التوتسي وأمسكوا بزمام الحكم، ففر مليونان من الهوتو عبر الحدود إلى الكونغو الديمقراطية، حيث بدأ بعضهم حرباً على حكومة الكونغو المركزية، وما يزال هذا الوضع مستمراً. الهوتو والتوتسي أبناء عرق واحد، ولا فوارق دينية أو لغوية بينهما. على أن الاستعمار البلجيكي الذي تميز بوحشيته كان قد فرق بين السكان ليسهل عليه حكمهم، وكان السبب الأكبر للشحناء. حققت العدالة الانتقالية في رواندا بعد مدة من المجازر قسطاً من النجاح.

الزاعات الأربع

تانزانيا بلد إسلامي استمد زاءه من زنجبار. عرفنا البلد في خريطتنا المدرسية باسم تنجنيقا، ثم في عام ٦٤ اتحدت مع جزيرة زنجبار الصغيرة وتسمت بتانزانيا. وإلى الجنوب منها موزمبيق التي اتخذت لغة المستعمر السابق، البرتغال، لغة رسمية وحيدة. وقد نشطت في موزمبيق منذ الاستقلال عام ٧٥ حركة رينامو المسلحة المدعومة من النظامين العنصريين في روديسيا (زمبابوي حالياً) وجنوب إفريقيا. ثم تم استيعاب الحركة برلمانياً، وألحق مقاتلوها بالجيش. ولكن بعض شرادهمها ما زالت تنشط في الشمال. الزاء الثالثة زمبابوي التي «تتمتع» بـ ١٦ لغة رسمية. كان اسمها روديسيا، وبعد انتهاء الاستعمار البريطاني أصر الـ ٧٪ البيض من السكان على أن يحكموا البلاد حكماً عنصرياً على الطريقة الجنوب إفريقية، وتزعم الحكم الأبيض إبان سميث البريطاني، ولكن نظامه عجز عن الحصول على اعتراف أي دولة في العالم، غير أن ألمانيا الغربية وجنوب إفريقيا واليابان تعاملت معه تجارياً. وبعد حرب أهلية تحول النظام العنصري ببعض التدرج

إلى «حكم الأغلبية السوداء» في عملية أشبهت ما سيحدث بعد عقدين في جنوب إفريقيا. منذ ١٩٨٠ يحكم البلاد - التي أصبح اسمها زيمبابوي - روبرت موغابي حكماً مطلقاً. وقد أعلن وهو في الـ ٩١ من العمر أنه سيرشح نفسه في انتخابات ١٨ . ٢٠١٨. الزاء الرابعة زامبيا. استقلت عن بريطانيا عام ٦٤، ودين الدولة فيها دستورياً المسيحية. لها نزاعات حدودية فاترة مع أربع من الدول الثماني المحيطة بها. ولكنها حققت إنجازات ملحوظة على أصعدة عدة: قهقرة الإيدز، والنهوض الاقتصادي، وترسيخ التعددية السياسية.

ملاوي

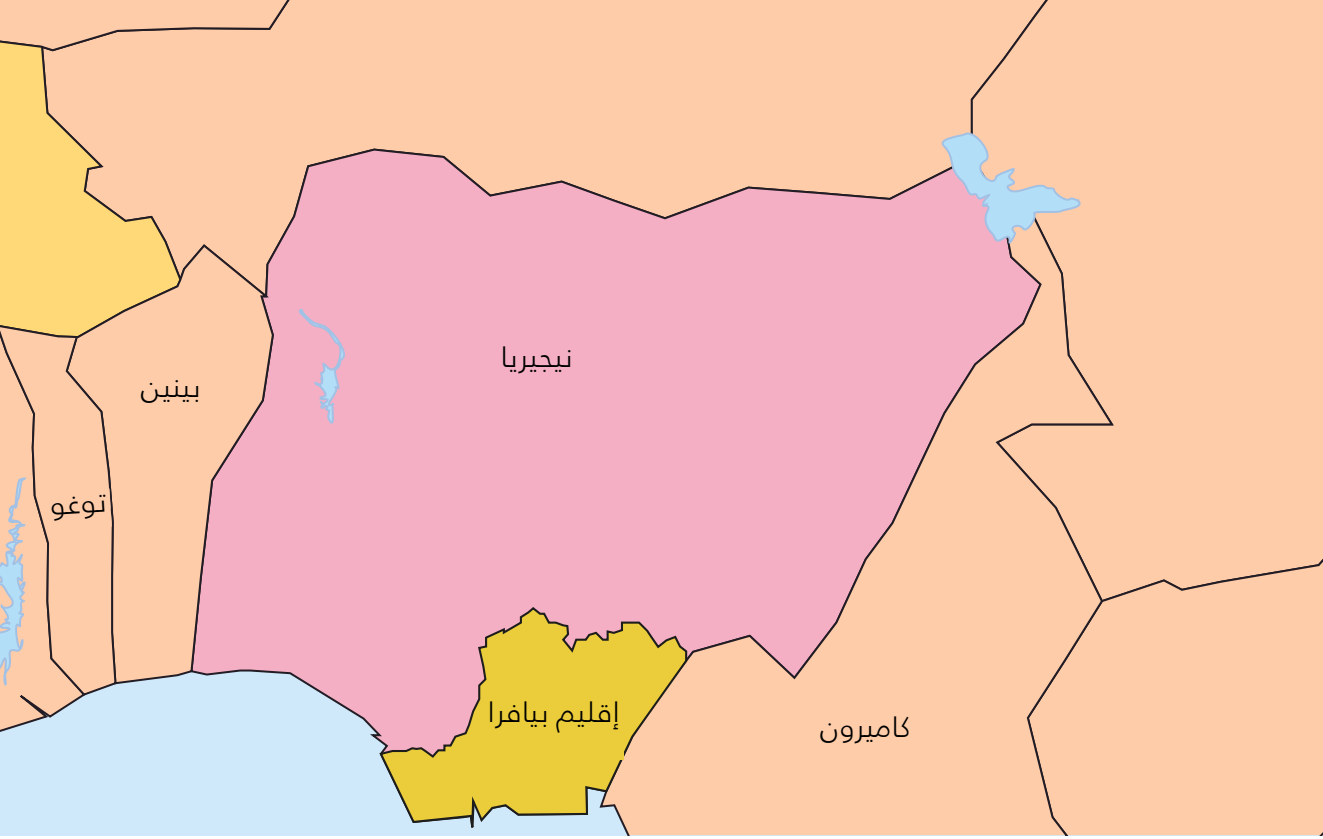
تقع ملاوي بين دول الزاءات، لا حدود لها إلا مع تلك الدول. ولملاوي نزاع حدودي هادي، لكنه مستمر، مع تانزانيا على قطعة كبيرة من بحيرة ملاوي الحدودية.

جزر القمر

تقع بين الساحل الإفريقي وجزيرة مدغشقر. وهي عبارة عن ثلاث جزر، والرابعة ما تزال تحت الإدارة الفرنسية. فبعد الاستقلال عام ٧٥ جرى أكثر من استفتاء، وقرر سكان جزيرة مايوت البقاء تحت الإدارة الفرنسية. لكن الاتحاد القُمري (الاسم الرسمي) يطالب بجزيرة مايوت التي ضمتها فرنسا لتصبح «أرضاً فرنسية» بعد استفتاء عام ٩٠٩ . ٢٠٠٩ حين اختار ٩٥٪ بالمئة من السكان ذلك. انضمت جزر القمر إلى جامعة الدول العربية عام ١٩٩٣.

مدغشقر

رابعة أكبر جزر العالم، وعاصمتها (أنْت نارييف). لها نزاعات على جزر صغيرة تقع بقربها مع فرنسا وجزر القمر وسيشل وموزمبيق.



نيجيريا وغرب إفريقيا

تصطف خمس عشرة دولة في غرب إفريقيا على ساحل الأطلسي بنظام، ولكل دولة نصيبها من الانقلابات والفقر، والأوبئة. لكن الحدود ثابتة فلا تظهر خطوط منقطة على الخريطة السياسية الساذجة. إحدى هذه الدول هي الأكثر سكاناً في قارة إفريقيا، ١٨٢ مليوناً.

أرض بوكو حرام



أبو بكر شيكو زعيم بوكو حرام:
«سأبيع السبايا حسب شرع الله»

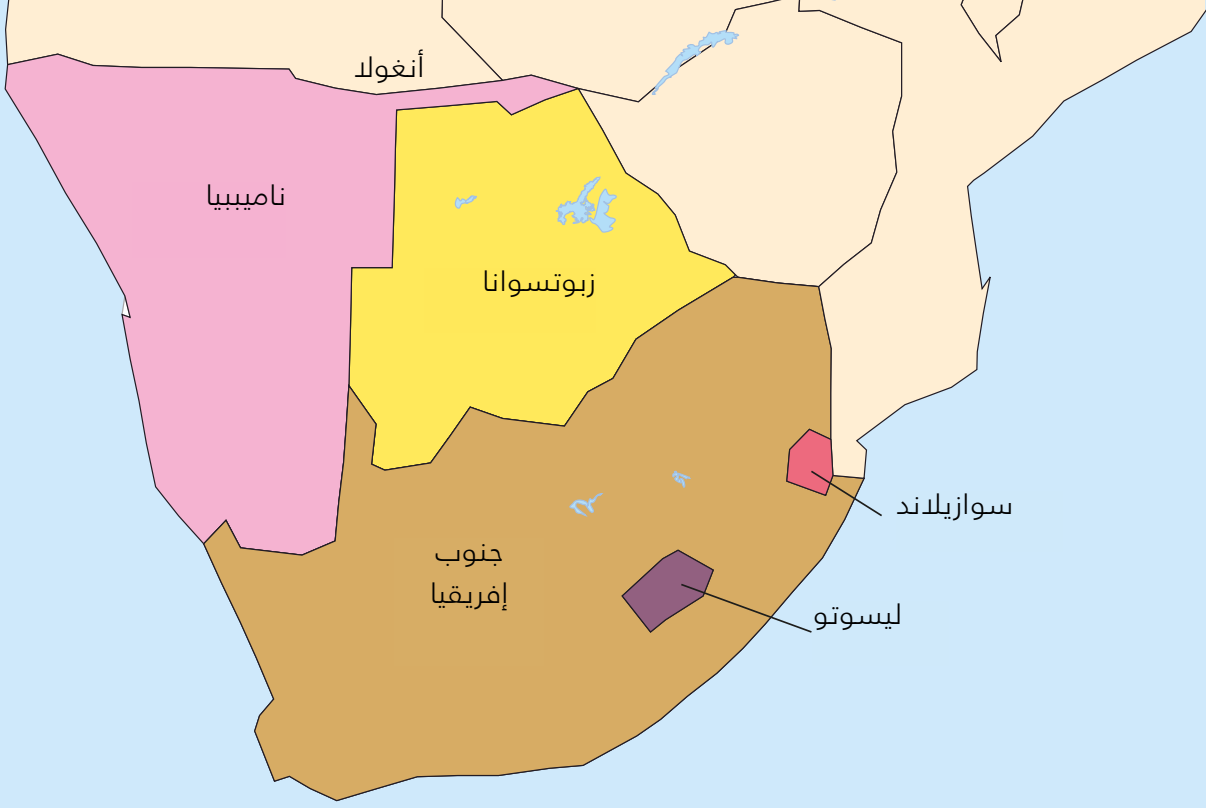
نشأت حركة بوكو حرام عام ٢٠٠٢، وبدأت نشاطها المسلح عام ٢٠٠٩، ومنذئذ لم تعرف نيجيريا النوم. الحركة تنسب نفسها إلى الإسلام الجهادي، وقد أعلنت ولاءها للقاعدة ثم لتنظيم الدولة الإسلامية. النيجيريون نصفهم مسلمون ونصفهم مسيحيون لكن نشاط بوكو حرام يتركز في الشمال ذي الأغلبية المسلمة. وقد امتد نشاط بوكو حرام إلى تشاد والكاميرون والنيجر. لكن الحكومة النيجيرية أعلنت «النصر» على الحركة في عام ٢٠١٥، ضحايا عمليات بوكو حرام



حرام قدرت بأكثر من عشرة آلاف قتيل، هذا بخلاف بدعة اختطاف الفتيات. تتخذ عدة ولايات شمالية في نيجيريا جزئياً أو كلياً الشريعة الإسلامية نظاماً قضائياً، بينما يسود القضاء المدني الجنوب كله. ولأن البلاد مقسومة من الوسط تقريباً بين مسلمين ومسيحيين فلا يستبعد أن تنشأ حركة انفصالية قوية في المستقبل، سيما وأن الانتماء الديني عنصر جوهري في تحديد الهوية في نيجيريا. عرفت نيجيريا الحرب الأهلية عندما انفصل إقليم بيافرا عام ٦٧، على خلفية عرقية؛ وما أعيد إلى الحظيرة إلا بعد سنتين ونصف من الحرب والتجويع، وتكلفة ثلاثة ملايين إنسان. كانت حرباً تجويعية بامتياز. أما شبه جزيرة باكاسي المجاورة لبيافرا فكانت موضع نزاع مع الكاميرون، وكسبت الكاميرون القضية في محكمة العدل الدولية واسترجعت المنطقة عام ٢٠٠٨.

بوركينافاسو

كان اسمها فولتا العليا قبل أن تتبنى اسمها ذا الجرس الموسيقي الذي يعني «أرض الكرام» عام ١٩٨٤. وهي دولة حبيسة محلاة عن البحر، ومحصورة بين مالي والنيجر وأربع من دول الساحل. أحدثت انقلابات بوركينافاسو وقع عام ٢٠١٥، وكان في الأغلب من صناعة محلية، ولكن انقلابات سابقة كانت تتم «بمساعدة» القوة الاستعمارية السابقة فرنسا.



إفريقيا الجنوبية

بلاد منديلا



الرجل الذي استقال ثم مات نبياً

نقول «إفريقيا الجنوبية» في إشارة إلى بلدان جنوب القارة فإذا ابتغيينا بلد منديلا عكسنا فقلنا «جنوب إفريقيا». لم يكن منديلا ضد استخدام العنف، بل لقد استخدمته منظمته «المؤتمر الوطني الإفريقي» ضد الحكم

العنصري، وتسبب ذلك في سجنه سبعاً وعشرين سنة. فإذا ما استقر في خلد النظام العنصري أن لا بقاء لحكمه مع الإصرار العالمي على «حكم الأغلبية» أخرج منديلا من سجنه. ١٩٩٠، وأصبح رئيساً للبلاد حيث قاد عملية مصالحة وعدالة انتقالية ناعمة. استقال منديلا عام ١٩٩٩، عجزاً؛ ومات عام ٢٠١٣، نبياً.

رغم الإيدز تظل جنوب إفريقيا، ٥٥ مليون نسمة، الدولة الأنجح اقتصادياً

في القارة. وتعتمد ١١ لغة رسمية، ولكن الإنجليزية متمكنة كلغة تفاهم بين الجميع. ويتكلم البيض، وهم نحو ٨٪، لغة الأفريكان القريبة من الهولندية. لجنوب إفريقيا عاصمة تنفيذية، بريتوريا؛ وأخرى تشريعية، مدينة الكاب؛ وثالثة قضائية، بلومفونتاين. وأكبر المدن جوهانسبرغ. مشكلة جنوب إفريقيا الكبرى الآن.. الإيدز.

مملكة سوازيلاند

دولة مستقلة تقع ضمن جسم جنوب إفريقيا ولكن لها حدوداً مع موزمبيق.

مملكة ليسوتو

دولة مستقلة صغيرة محاطة تماماً بجنوب إفريقيا.

جمهورية بوتسوانا

أنفق مؤلفا كتاب «لماذا تفشل الدول» عشرات الصفحات على بوتسوانا، فهي المثال الساطع لدولة تسير في نهج التعددية والديمقراطية وتمكين المؤسسات فتحقق النجاح الاقتصادي. تقع بوتسوانا إلى الشمال من جنوب إفريقيا. على أن نسبة التفاوت في الثروة فيما بين المواطنين في بوتسوانا من أعلى النسب عالمياً، ٦٠,٥ بحسب مقياس جيني.

ناميبيا

دولة كبيرة المساحة على سكانها المليونوني نسمة. على أن أرضها صحراء قاحلة في معظمها. تحررت من قبضة الحكم العنصري في جنوب إفريقيا بنضال حركة سوابو عام ١٩٩٠.

أنغولا

بعد استقلالها عن البرتغال سنة ١٩٧٥ انغمست حركات التحرر الثلاث في أنغولا في حرب أهلية طويلة راح ضحيتها مئات الألوف، وعندما استقر الحكم للجبهة اليسارية (الحركة الشعبية لتحرير أنغولا) تدخلت دول الجوار بدعم من الولايات المتحدة لإسقاط الحكم اليساري، فأرسلت كوبا قوة لتعزيده، وخاض معسكرا الحرب الباردة، بقيادة أميركا والاتحاد السوفييتي، حرباً طويلة في أنغولا. ومع انتهاء الاتحاد السوفييتي عدلت حكومة أنغولا عن النهج الماركسي-اللينيني واتخذت الاشتراكية-الديمقراطية نهجاً. وفي بداية الألفية أُلقت حركة يونيتا السلاح وتحولت إلى معارضة، ثم دخلت البرلمان. كانت أنغولا قطباً إفريقياً مهماً في السنوات الأخيرة من الحرب الباردة.



803612AI (G13-8 (00543

روسيا وتفكك الاتحاد السوفييتي

انتهى الاتحاد السوفييتي رسمياً في ديسمبر ١٩٩١. ولم تكتب الحياة لـ «كومنولث الدول المستقلة» الذي ارتئي له أن يرثه. فاتخذت كل جمهورية من الجمهوريات الخمس عشرة طريقاً. وظلت روسيا أكبر دولة في العالم من حيث المساحة.

روسيا

الاتحاد الروسي هو الاسم الرسمي. العاصمة موسكو في أوروبا، وروسيا تمتد على عرض قارة آسيا وجزء كبير من أوروبا بمساحة ١٧ مليون كم مربع. يتكون الاتحاد الروسي من ٢٣ إقليمًا، و١٤ جمهورية، إضافة إلى المدينتين الفدراليتين موسكو وبطرسبرغ. في روسيا جمهورية للشركس وأخرى لليهود وجمهورية للشيشان. وهذه الأخيرة تتوقف عندها.

جمهورية الشيشان

كانت «الشيشان وإنغوشيا» جمهورية سوفيتية عندما غزت ألمانيا الاتحاد السوفييتي في الحرب العالمية الثانية، وقاتل الشيشان الألمان، ونال بعضهم ما كان يسمى بنيشان «بطل الاتحاد السوفييتي»؛ ولكن، وفي السنة الأخيرة من الحرب، بدا لستالين أن ينكل بالشيشان بزعم أنهم تعاونوا من النازيين، فنقل الشعب بكامله إلى قرغيزستان، وقتل الآلاف. واستمرت التغريبة الشيشانية حتى أعاد خروتشوف من بقي على قيد الحياة إلى بلاده. وانفصلت بلاد الشيشان عن إنغوشيا. مع تفكك الاتحاد السوفييتي ناضل الشيشان لكي يستقلوا ببلدهم، لكنهم كانوا جزءاً من روسيا، كانوا جمهورية «روسية»، وليس كالجمهوريات «السوفييتية» الأخرى. خاض الشيشان - وعددهم مليون - حربين مع روسيا - وعدد سكانها ١٤٥ مليوناً -، ثم هدأت الأوضاع، لكن بعض الهجمات الانتقامية استمرت. اتخذ نضال الشيشان القومي بعداً دينياً فالشعب الشيشاني مسلم. وظلت جمهورية الشيشان ضمن «الاتحاد الروسي».

روسيا والتحديات المزمئة

يحلو لكتاب المقالات أن يعلنوا بالقلم العريض «عودة روسيا». وبالفعل فإن روسيا عادت إلى مناكفة الغرب مع انقضاء سنوات الذهول بعد تفكك الاتحاد السوفييتي. ولكن المناكفة لا تعني تماماً أن روسيا قد تجاوزت تحدياتها الكثيرة. فالحكم المركزي القائم، منذ عام ١٩٩٩، على شخص فلاديمير بوتين يعاني من اضطراب سياسي داخلي بدأ بتحكم المافيات واستمر بتخلخل واضح في الأرضية البرلمانية للحكم. والحكم القائم على «الرجل القوي» قد لا يظل قوياً بالضرورة عندما يغيب هذا الرجل. والتحدى الداخلي الآخر الذي يورق روسيا هو تناقص عدد سكانها بوتيرة أصبحت منتظمة ولا يتوقع لها انعكاس.

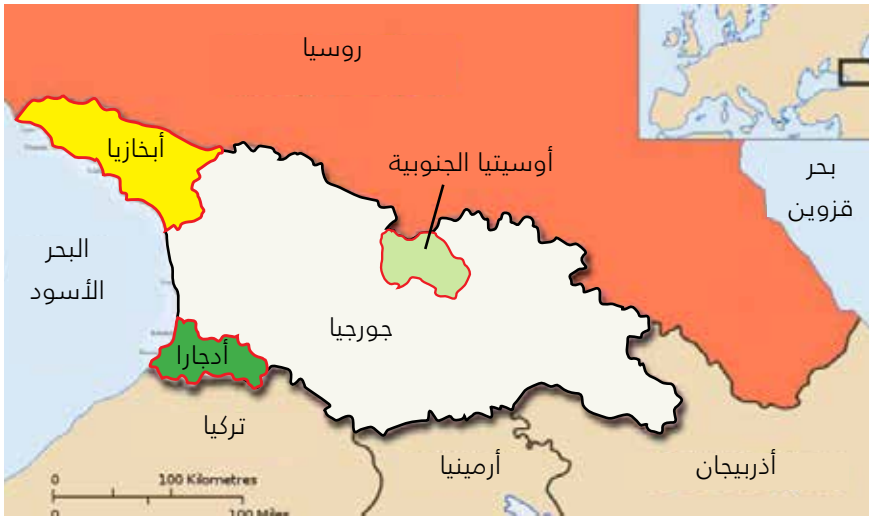
التحديات الجغرافية: ما فتى التلهف الروسي على البحار الدافئة يشغل بال موسكو منذ بضع مئات من السنين. فلا منفذ لروسيا جنوباً إلا أن تعبر البسفور، وهو محروس بتركيا، ولا منفذ لروسيا على الأطلسي من الغرب إلا أن تعبر مضائق سكاغيراك عند فم بحر البلطيق. على أن لروسيا إطلالة كبيرة على المحيط المتجمد الشمالي، والعبور منه إلى الأطلسي ليس مستحيلاً، وثمة ممران ممكنان يطلان مفتوحين بضعة أشهر في السنة، مع ضرورة توفر كاسحات الجليد، وتملك روسيا منها عدداً يفوق ما يملكه العالم كله. (أوصى الرئيس الأميركي، ٢٠١٥، ببناء المزيد من كاسحات الجليد حيث لا تملك الولايات المتحدة إلا ستاً منها، مقابل أكثر من ثلاثين لروسيا). ولا سبيل للزعم بأن مثل هذا المنفذ المتجمد ذو قيمة كبيرة، خاصة وأن الشواطئ الشمالية لروسيا ليست خير مكان لتموين أسطول كبير ولا سيما في وقت الأزمة.

ومثل هذه المشكلة تواجه إطلالة روسيا على المحيط الهادئ. فشواطئها الطويل على الهادئ مفصول عن قلب روسيا بصحارى من الجليد. وتنتفع روسيا منذ ١٩٧١ بميناء وحيد على المتوسط هو طرطوس السوري لتموين سفنها. وقد انتفعت روسيا بميناء طرطوس في دخولها العسكري في الحرب الأهلية السورية في صف النظام، ولكن هذا لا يعني أن المضائق التي تكبل روسيا ستظل مفتوحة في حال حدوث أزمة كبرى. وقد أغضت الولايات المتحدة عن ضم روسيا شبه جزيرة القرم، وفيها ميناء سباستيبول المهم، وأغضت عن تدخلها في سوريا، وفي أوكرانيا.. ضمن حسابات أوسع.

التحدي الثاني الكبير لروسيا خاضرتها اللينة في الغرب. فبعد أن كان حلف الأطلسي يقف على بعد ١٥٠ كم من موسكو أيام الحرب الباردة اقترب الآن ليصبح على بعد ١٣٠ كم من سان بطرسبرغ. الحدود الغربية لروسيا هي مشكلتها الكبرى مع الغزاة، فحتى قبل هتلر وفلهلم الأول ونابليون تلتقت الأرض الروسية عدة غزوات من الغرب عبر السهول المفتوحة من بولندا. فأما إلى الجنوب فتقوم سلسلة جبال الكربات حائلًا طبيعيًا يمنع التقدم نحو روسيا من جهة رومانيا. على أن الغرب تخطى جبال الكربات وأرسى لنفسه نفوذًا في أوكرانيا. وروسيا ماضية في تبديل الرؤساء في أوكرانيا، وفي التغول على شرق هذا البلد، ويعتقد استراتيجيون كثير أن الولايات المتحدة لن تمنع روسيا في نهاية المطاف من تأسيس نفوذ قوي لها في أوكرانيا.

المعادلة الغربية الروسية بشكل فج: بولندا لنا وأوكرانيا لكم. وتستعمل روسيا بالطبع ما تملك من غاز ونفط سياسياً لتأمين عمقها الاستراتيجي غرباً، لكن إلى حد معين، فهناك دول البلطيق الثلاث المحاذاة لروسيا والتي انضمت إلى حلف الناتو. فأما أوكرانيا فإن مجرد تفكيرها في الانضمام للناتو وتشجيع الأوروبيين لما دعي بالثورة البرتقالية فيها أطلق حملة التدخل الروسي.

استردت روسيا أنفاسها بعد فترة من الانتكاس، وظلت قوة نووية كبيرة، ولكنها ليست موعودة بأن تعود قطباً يوازي الولايات المتحدة.



إدوارد شفرنادزه، ابن جورجيا الذي
ساهم في تفكيك الاتحاد السوفييتي



ستالين، ابن جورجيا الذي حكم
الاتحاد السوفييتي . ٣ سنة

جورجيا

إحدى الدول التي نشأت بانهيار الاتحاد السوفيتي. جورجيا هي موطن ستالين، وكان ستالين في يفاعته وطنياً جورجياً يكتب الشعر الوطني بلغته الأم ويريد لبلده الاستقلال عن روسيا القيصرية، ولكنه انضم إلى البلاشفة وأصبح زعيم الاتحاد السوفيتي بعد موت لينين سنة ١٩٢٤. واستطراداً فقد كان خروتشوف أوكرانياً، وهذا يذكرنا بالإمبراطورية الرومانية التي كان عدد من أباطرتها من العرب.

عاصمة جورجيا تفليس. جاء اسمها في كتب الجغرافيين العرب، وسمى أبو القاسم الحريري إحدى مقاماته بالمقامة التفليسية نسبة إليها، ويصر الصحفي العربي المعاصر على أن يأخذ الاسم من وكالة الأنباء كما هو بالإنجليزية «تفيليسي». الألمان والإسبان والأترراك تمسكوا بالاسم بصيغة «تفليس» لأن الجورجيين أنفسهم كانوا يسمونها كذلك.

بعد استقلال جورجيا بوضع سنين تولى الحكم فيها آخر وزير خارجية سوفيتي، إدوارد شفرنادزة، الذي رافق غورباتشوف في تفكيك الإمبراطورية بأقل قدر من العنف.

تتدخل روسيا في جورجيا عبر دعمها العسكري لأبخازيا الانفصالية، ووجود قوات روسية في ابخازيا. وإقليم ابخازيا - موطن العائلة الأباضية التي تستوطن أسرها في مصر وفلسطين وسوريا - لم يعد يضم من المسلمين سوى نسبة ١٦٪. وكان لروسيا وجود عسكري أيضاً في أديارا بجنوب جورجيا لكنها سحبت قواتها، وثمة علاقة خاصة بين تركيا وهذا الإقليم الجورجي ذي الحكم الذاتي وخاصة مع الأقلية المسلمة التي تبلغ نسبتها ٣٪.

التدخل الروسي الأكبر في جورجيا كان في أوسيتيا الجنوبية. وهي إقليم جورجي. تشكل أوسيتيا «الشمالية» جزءاً من روسيا، وقد تدفق إليها اللاجئون من أوسيتيا «الجنوبية» الجورجية عقب انهيار الاتحاد السوفيتي. وفي عام ٨٠٠٨ وقعت الحرب بين جورجيا وروسيا حول أوسيتيا الجنوبية التي وقّع الانفصاليون فيها بعدئذ اتفاقاً يضمها إلى روسيا، ولكن الغرب لم يعترف بالاتفاق. توجد قوات روسية الآن - ١٧ - في أوسيتيا الجنوبية.



أذربيجان وأرمينيا

كلتاهما دولة مستقلة منذ تفكك الدولة السوفيتية. وتوجد داخل أذربيجان منطقة يقطنها الأرمن هي قرباغ العليا «ناغورنو قرباغ»، وتطالب بها أرمينيا، وهي جمهورية انفصالية حبيسة داخل أرض أذربيجان، لكنها غير معترف بها دولياً. ولأذربيجان منطقة منفصلة عن جسمها وملتصقة بأرمينيا هي ناختشيفان وتتمتع بحكم ذاتي ضمن السيادة الآذرية.

تدعم تركيا أذربيجان، وتدعم روسيا أرمينيا. وتتشدد تركيا في مسألة تاريخية هي ما وقع للأرمن عام ١٩١٥ من قتل وتشريد في خضم الحرب العالمية الأولى. ومع أن الحكم في تركيا تغير، وزالت الإمبراطورية العثمانية التي كانت لها يد طولى في تلك المقتلة الكبيرة وذلك التشريد، الذي أُلجأ كثيرين من الأرمن إلى لبنان وسوريا وفلسطين والأردن، فلا تزال تركيا تنكر أن لإمبراطوريتها الزائلة يداً في الأمر. وعلى الصحفي الذي ينشر في جريدته مقالاً يتضمن عبارة «مذابح الأرمن» أن يتوقع اتصالاً من السفارة التركية.



آسياستان

الدول الخمس

خمس دول نشأت بانھيار الاتحاد السوفیيتي هي: قزخستان، وقرغيزستان، وطاجيکستان، وأوزبکستان، وترکمانستان. نضيف إليها أفغانستان وباكستان، ليس من أجل اللاحقة «ستان»، ولكن لوجودها جميعا في حيز واحد.

أفغانستان

تعيش فيها أقليات من دول الجوار من الطاجيك والأوزبك، والترکمان. وفيها أقلية بلوشية، ولكن العنصر الأكبر في السكان، ٤٢٪، هم البشتون. والجميع مسلمون. تتركز حركة طالبان المسلحة في الجنوب.

باكستان

تحارب الحكومة المركزية حركة «طالبان باكستان» في مناطق القبائل الواقعة في الشمال بمحاذاة أفغانستان. والحركة تعلن ولاءها لطالبان الأمم لا لتنظيم الدولة الإسلامية. وتقصف أميركا بالطائرات الزنانية مناطق طالبان باكستان منذ ٢٠٠٤، تقول واشنطن إنها قتلت ٢٥٠٠ مسلح، مقابل ٢٥٠ مدنياً. ويكاد المستقلون في الغرب والشرق يجمعون على أن الأمر بالعكس وأن قتلى المدنيين نحو عشرة أضعاف القتلى المسلحين. (دانيال بايمان من معهد بروكنغز، في ١٤ يوليو تموز ٢٠٠٩: «يبدو أن مسلحاً واحداً يقتل مقابل كل عشرة مدنيين، وهذه مأساة إنسانية»).

كشمير

تسيطر الهند على منطقة «جامو وكشمير» وتطالب بها باكستان، وتسيطر باكستان على منطقة «أزاد كشمير» وتطالب بها الهند، وتسيطر الصين على منطقتين إلى الشمال تطالب بهما الهند. حروب ومناوشات كشمير بين باكستان والهند عديده، بدأت عام ١٩٤٧، وهي مرشحة للاستمرار.

سكان كشمير الباكستانية مسلمون. وفي جامو وكشمير الهندية يشكل المسلمون ٧٠٪ من السكان، ولكن الهند نفسها تضم ١٨ مليون مسلم، فهي لا ترى في كون معظم الكشميريين مسلمين سبباً لانفصالهم.



أوكرانيا وجوارها

أوكرانيا

ظلت العلاقات بين روسيا وأوكرانيا - أكبر الجمهوريات التي انفصلت بانحياز الاتحاد السوفييتي سكاناً: ٤٥ مليوناً - متأرجحة حتى قامت الثورة البرتقالية المدعومة غربياً، فاتجهت أوكرانيا إلى الغرب، فتحرك الروس الذين يقطنون شرق أوكرانيا، وبدأوا حرباً انفصالية بدعم عسكري من

موسكو. وتحركت موسكو فدخلت بقواتها إلى شبه جزيرة القرم التي كانت روسية ثم ألحقها الزعيم السوفييتي خروتشوف، وهو أوكراني، بأوكرانيا في الخمسينات. ورغم الهدنة فإن لأوكرانيا أن تتوقع فقدان قطعة صالحة من أرضها بالإضافة إلى شبه جزيرة القرم.

مولدوفا

أصبحت دولة مستقلة بتفكك الاتحاد السوفييتي، وسرعان ما خاضت حرباً مع إقليم «ترانس نستيريا» الذي انشق وما زال منشقاً بدعم روسي. وسكان الإقليم المنشق ينقسمون أثلاثاً بين مولدوفيين وروس وأوكرانيين. لا تعترف أي دولة مستقلة بانفصال ترانس نستيريا. ولمولدوفا علاقات قوية مع رومانيا المجاورة. يسمونها أحياناً «مولدافيا»، وهو الاسم التاريخي لمنطقة أوسع، فأما «مولدوفا» فهو اسم الدولة الحالية.

دول البلطيق

بعد ١٢ سنة من استقلالها بانهيار الاتحاد السوفييتي انضمت دول البلطيق الثلاث إستونيا ولاتفيا وليتوانيا إلى حلف شمال الأطلسي، وتوجد في الدول الثلاث أقليات روسية تتراوح بين ٥% و٢٥% من السكان.

كالينينغراد

هذه من غنائم الحرب العالمية الثانية. هي إقليم كونيغسبرغ الألماني موطن الفيلسوف عمانوئيل كانط. وقد أجلي الاتحاد السوفييتي بعيد الحرب العالمية الثانية جميع الألمان عن الإقليم وضمه لروسيا، وسماه كالينينغراد. والإقليم مرفأ روسي مهم على البلطيق وهو أقصى امتداد غربي لروسيا، غير أنه منفصل جغرافياً عن الأرض الروسية.

روسيا البيضاء

أو بيلاروس، دولة مستقلة تربطها بروسيا علاقات مميزة، تصل حد الالتحام السياسي.



الهند وجوارها و«محيطها»

الهند

هي ثانياً دول العالم بعد الصين من حيث عدد السكان، ويصفها الغربيون دائماً بأنها «أكبر ديمقراطية في العالم». لكثرة ما فيها من اللغات اتخذت الإنجليزية لغة تفاهم عامة وإحدى أهم اللغات الرسمية، ما زالت تعاني من العزل التي اجتهد غاندي في علاجها، ولا سيما نظام الطبقات. ولكنها سارت على طريق التنمية خطوات كبيرة، ويتوقع أن يبدأ الانفجار السكاني فيها بالانحسار، لكن ربما بعد أن تسبق الصين في عدد السكان. فالتحول المتواصل باتجاه سكنى المدن، وتصنيع الريف سيكونان عاملين أكثر أهمية من مشاريع «تعقيم الرجال» وسائر خطط تحديد النسل التي لم يكن لها أثر كبير في الماضي.

بنغلادش

تكتنف الهند بنغلادش اكتنافاً، سوى حدود برية قصيرة مع ميانمار. ثمة تداخل حدودي كبير بين الهند وبنغلادش. هناك عشرات الجيوب بين البلدين يعود تاريخها - كما يقال - إلى دسوت شطرنج فيما بين ملكي «كوخ بهار» و«رانغبور» فكان الخاسر في كل دست يتنازل للرابح عن منطقة محددة. وما زالت هذه الجيوب مصدر قلق للبلدين.

سريلانكا

تشغل هذه الدولة جزيرة سيلان، وقد عرفها العرب باسم سرّنديب. قال الشافعي:
أمطري لؤلؤاً جبالَ سرّنديب وب، وفيضي آبارَ تَكرورَ تيرا
أنا إن عشتُ لستُ أعَدَم قوتاً وإذا مُتُّ لستُ أعَدَم قبرا
أما تَكرور فهي في السنغال. عرفتُ سريلانكا حرباً أهلية بين أقلية التاميل في الشمال، وأغلبية السنهال، انتهت بتوقيع اتفاق سلام بين الحكومة وحركة نمور التاميل عام ٢٠٠٢، الحصيلة نحو ٥٠ ألف قتيل.

ميانمار

هي بورما، تغير اسمها. بعد حكم الطغمة العسكرية الطويل حقق حزب المناضلة أونغ سان سو تشي أغلبية الثلثين وأكثر في انتخابات حرة تجري لأول مرة منذ ٢٥ سنة. لكن «سو تشي» لم تقدم وعوداً لجمهرة «الروهينغيا» المسلمة التي عانت اضطهاداً وتهجيراً. ما زال للعسكر نفوذ قوي في ميانمار حتى بعد الانتخابات.

تايلاند

هي سيام، تغير اسمها. رغم البحبوحة الاقتصادية للبلاد فقد شهدت العديد من الانقلابات، أحدثها عام ٢٠١٤، ومنذ إلغاء الملكية فيها عام ١٩٣٢ حكمها العسكر ما مجموعه ٥٥ سنة. تايلاند بلد سياحي، ويقدر أن ٣٪ من الدخل القومي (٤,٣ بليون دولار) يأتي من الدعارة، أو ما سمي بالسياحة الجنسية.

ماليزيا

الأرض الماليزية تنقسم ما بين البر الآسيوي وجزيرة بورنيو. وفي بورنيو تحتضن الأرض الماليزية مملكة بروناوي المستقلة. الماليزيون مسلمون بنسبة ٦١٪، وبوذيون ٢٠٪، ومسيحيون ١٠٪، وهندوس ٦٪. وقد مكن التعايش بين أعراقها وأديانها البلاد من تحقيق معجزة اقتصادية قادها محاضر محمد رئيس الوزراء بين ١٩٨١ و٢٠٠٣.

سنغافورة

مساحة سنغافورة ٧٢ كم^٢، لكنها تكتظ بخمسة ملايين نسمة. ومعدل الدخل الفردي سنوياً من الأعلى في العالم كله. بسبب حجمها يحتاج المرء إلى تكبير الخريطة كثيراً و.. إلى التحديق. هي جزيرة تقع في أسفل الجزء المتصل بالبر الآسيوي من ماليزيا، وتكاد تلتصق بها. اتحدت مع ماليزيا بضع سنوات، ثم «طردها» برلمان ماليزيا عام ١٩٦٥.

كمبوديا

بلد حكمه الخمير الحمر المتأثرون بالعقيدة الماوية أربع سنوات، في السبعينات، بقيادة بول بوت، وذبحوا أثناء حكمهم، نحو مليوني نسمة، نحو ربع السكان آنذاك.

لاوس

أخذت نصيبها تدميراً وتقتيلاً بسبب حرب فيتنام.

فيتنام

كانت مستعمرة فرنسية، وعندما كبد الفيتناميون الفرنسيين خسائر جسيمة جاء الأميركيون. قتلى حرب فيتنام نحو مليون ونصف، بينهم ٥٨ ألف أميركي (٥% فقط). بانتصار الفيتناميين توحدت فيتنام الجنوبية وعاصمتها سايغون، أصبح اسمها هوشي منه باسم زعيم فيتنام الشمالية، وفيتنام الشمالية وعاصمتها هانوي. العاصمة الآن هانوي.

إندونيسيا

أكبر بلد إسلامي سكاناً، ٢٦٥ مليوناً. هي عبارة عن مجموعة جزر في المحيط الهندي مع إطلالة على الهادئ. الرئيس جوكو ويدودو انتخب عام ٢٠١٤.

تيمور الشرقية

دولة تحتل النصف الشرقي من جزيرة تيمور في الأرخبيل الإندونيسي. عام ١٩٧٤ احتلتها إندونيسيا بمباركة الرئيس الأميركي آنذاك جيرالد فورد أثناء زيارة قام بها للرئيس الإندونيسي الجنرال سوهارتو، وجعلتها المقاطعة السابعة والعشرين. واستقلت تيمور الشرقية بعد كفاح طويل عام ١٩٩٩. ٩٧% من سكان تيمور الشرقية، وهم نحو مليون، مسيحيون.

الفلبين

أرخبيل في الطرف الغربي للمحيط الهادئ. في جزيرته الجنوبية، ميندناو، أقلية مسلمة كبيرة، وقد قادت «جبهة مورو» نضالاً مسلحاً ذا طابع انفصالي، ولكن يجري الآن استيعابها ضمن المؤسسات السياسية في الدولة. اشتهرت الهجمات المسلحة لجماعة «أبو سياف» المنشقة عن جبهة مورو والتي تطالب بدولة إسلامية. وفي أوائل الألفية تلاحى تأثير الجماعة التي يعتقد أن لها ارتباطاً بالقاعدة.

أستراليا

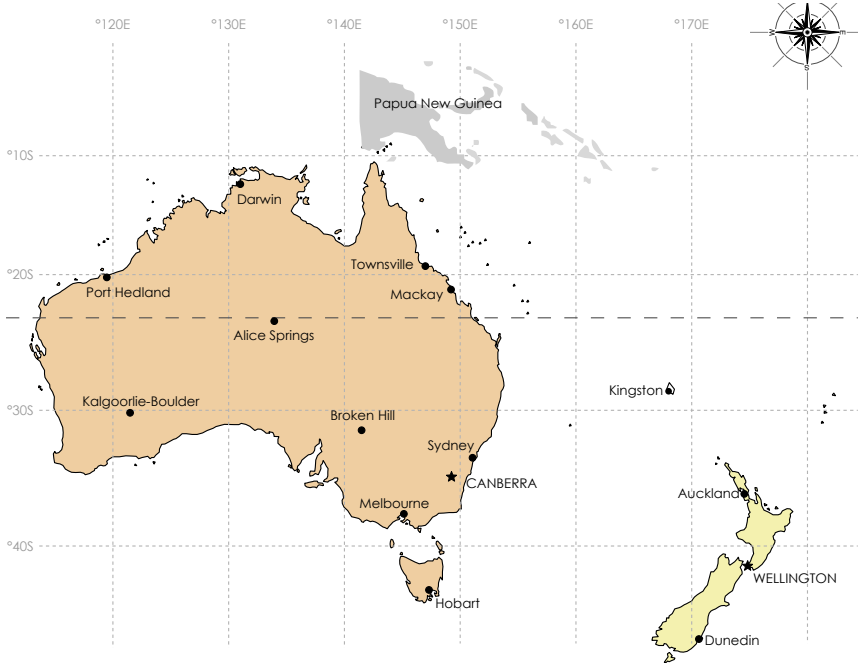
القارة الدولة. سكانها ٢٤ مليوناً، وفيها ٧ مليون خروف. تتبع إسمياً التاج البريطاني.

نيوزيلندا

مجموعة جزر إلى الشرق من القارة الأسترالية. دولة غربية التوجه. فيها ٤,٥ ملايين إنسان، و ٣ مليون خروف. تتبع إسمياً التاج البريطاني.

بابوا غينيا الجديدة

دولة تحتل نصف جزيرة تقع شمال أستراليا فيها ٧ ملايين نسمة، ويتكلمون بـ ٨٣٦ لغة تم رصدها جميعاً بشكل علمي.





الصين وجوارها

الصين

أكبر دول العالم من حيث عدد السكان. نهشها الاستعمار الأوروبي من أطرافها، وفرض عليها البريطانيون، رعيًا لمصالحهم التجارية، أن تستورد الأفيون بعد حربين كبيرتين. وفي مطلع القرن العشرين رثى لحالها أحمد شوقي:

يَأوي لها حتى كَعَابِرُ لِمَن المَسَاكُنُ كالمقَابِرُ
 بر قد خُلِقنَ ولا المحَابِرُ ولُغائُهُ لا لِمَنَّا
 ها مِن الأزمان دَائِرُ وعلومُهُ دَرَسَتْ وَعَقَّا -

ولكن الصين نهضت في ثورة عارمة أعقبتها حرب أهلية انتهت عام ١٩٤٩ بانتصار الحزب الشيوعي. بعد الثورة الشيوعية الماوية انهزم الوطنيون إلى جزيرة فورموزا قبالة الساحل الصيني وأقاموا دولة هناك، هي تايوان، ظل الغرب يعتبرها الممثل الشرعي للصين حتى أواسط السبعينات، عندما انقلب الوضع فطردت تايوان من مجلس الأمن الدولي، وحلت محلها «الصين الشعبية». استعادت الصين الشعبية من بريطانيا جزيرة هونغ كونغ عام ١٩٩٧، ومنطقة ماكاو من البرتغال عام ١٩٩٩. وصعدت الصين الشعبية، وتايوان أيضاً، في الصناعة والعلم مع دفع كلفة بشرية باهظة في محطات قاسية كالثورة الثقافية. ويبدو أن علوم الصين القديمة، التي زعم شوقي أن الزمن قد عفاها ومحاهها، كانت كامنة في قلب الصين ثم استيقظت.

للصين الشعبية مطلب دائم بضم دولة تايوان التي تعتبرها جزءاً منها. ولها نزاعات حدودية بحرية مع اليابان، وبرية مع الهند. ويطالب مواطنون في التبت بانفصال الهضبة عن الصين يقود مطالبهم الزعيم الروحي الدلاي لاما. وفي الصين ٢١ مليون مسلم، ولدى أكبر طوائفهم «الإيغور» في شمال غرب الصين حركة مطلبية قوية تقف في وجهها الحكومة المركزية.

بعد وفاة ماو تسي تونغ، قائد الثورة والزعيم ذي الصلاحيات غير المحدودة عام ١٩٧٦، بدأت الصين تتحرر من عبادة الفرد، ولكن الحزب الشيوعي ظل الحزب الوحيد. ومنذ ١٩٧٨ أصبح الاقتصاد الصيني أسرع اقتصاد في العالم نمواً، وبأفكار دنغ جياو بنغ - الذي لقي اضطهاداً لسنوات كثيرة في عهد ماو - وقيادته غير الفردية نهضت الصين، أحفل دول العالم بالسكان، ١٣٤ مليون نسمة، نهضة ما زالت تدهش العالم. ولكن المبالغة في مستقبل الصين كقطب يوازي الولايات المتحدة تتجاهل عدة أمور، من بينها عدم حيافة الصين على أسطول حربي «للمياه الزرقاء»، فأسطولها الحربي ما زال حبيس «المياه الخضراء» في بحر الصين، وهي جادة في تمويل إنشاء عدة موانئ في بلدان الهند الصينية، وفي بناء أسطول. ويظل أمام الصين مضيق ملقا بين ماليزيا وإندونيسيا حائلاً دون التمدد استراتيجياً في المحيط الهندي. وحتى على المحيط الهادئ الذي لها عليه إطلالة كبيرة فهي لا تجد النفاذ سهلاً - في حال نشوء نزاع كبير - مع وجود نطاق من الجزر ومواقع راسخة للأسطول الأميركي السابع. وقد «بنت» الصين بعض الجزر لأغراض استراتيجية، ورغم صيحات

الاحتجاج العالية فإن قيمة هذه الجزء المحدثة لا تتعدى الرصد، فأما خطوط التمويل الحقيقية لأسطول كبير فلا بد أن تكون على البر الصيني. تصنيع الأشياء بأيد عاملة رخيصة وبيعها للعالم رخيصاً يوفر للصين قوة «الكاش»، ولكن هذا وحده لا يصنع دولة عظمى.

تايوان

دولة في جزيرة تقاطعها دول العالم لأن الصين ترفض التعامل مع أي بلد ينشئ علاقات مع تايوان التي تعتبرها الصين جزءاً منها. تنال تايوان الحماية العسكرية من الولايات المتحدة.

اليابان

تقدم اليابان للباحث الاقتصادي مثلاً على الأرض القاحلة الفقيرة بالموارد التي يمكن أن تزدهر بوجود الانضباط وأخلاقيات العمل والمثابرة. احتلت اليابان مناطق شاسعة في آسيا أثناء الحرب العالمية الثانية وعاملت السكان بوحشية، وعوملت بوحشية من قبل الأميركيين حيث أُلقيت على هيروشيما قنبلة ذرية في أغسطس/ آب ١٩٤٥، وأخرى على ناغازاكي بعد بضعة أيام. في المحصلة تولد لدى اليابان جبن سياسي ما زالت آثاره واضحة، وقد ساعد الولايات المتحدة في فرض هيمنتها العالمية. على أن المواطنين اليابانيين يطالبون القوات الأميركية المرابطة في جزيرة أوكيناوا بالرحيل.

كوريا

بانتهاى الحرب الكورية في الخمسينات التي راح ضحيتها نحو مليون إنسان، على مذبح الصراع بين المعسكر الشيوعي والرأسمالي، قسمت شبه الجزيرة الكورية إلى قسمين متساويين تقريباً. انتعشت كوريا الجنوبية، الرأسمالية، وتسلحت كوريا الشمالية حتى حققت السلاح النووي، ولكنها عرفت المجاعة وحكم الفرد المطلق. المناوشات الإعلامية بين الكوريتين مستمرة، وهما رسمياً في حالة حرب، إذ لا توجد معاهدة بينهما منذ الخمسينات.



أوروبا

إسبانيا

فيها منطقتان تفكران في الانفصال: كتالونيا، وإقليم الباسك. وفي أقصى جنوبها قطعة أرض مساحتها ٧ كم مربع تسيطر عليها بريطانيا منذ ٣٠٠ سنة، تلك هي جبل طارق، وتطالب بها إسبانيا، ويريد الثلاثون ألفاً القاطنونها البقاء مع بريطانيا. بالمقابل تسيطر إسبانيا على منطقتين في شمال المغرب هما سبتة (١٩ كم٢) ومليلية (١٢ كم٢)، وتطالب بهما المغرب.

البرتغال

كانت دائماً بلداً مستقلاً ضمن الجزيرة الإيبيرية له مستعمراته في أميركا الجنوبية وإفريقيا والهند والخليج العربي، إلا أن البرتغال كانت أثناء الحكم العربي الإسلامي جزءاً من الأندلس. مقابل العشرة ملايين برتغالي، هناك مئتا مليون برازيلي يتكلمون - أيضاً - البرتغالية.

فرنسا

يطلق الفرنسيون على الأرض الفرنسية في أوروبا لقب «المسدس» لشكلها السداسي، ولتمييزها عن «ممتلكات» فرنسا وراء البحار: ما يوت في جزر القمر، وغويانا الفرنسية في أميركا الجنوبية، وبعض الجزر الأخرى. وقد أخذت فرنسا نيس وسافوا من إيطاليا في خضم الوحدة الإيطالية في سبعينات القرن التاسع عشر، وتسيطر جزئياً على إمارة موناكو على الساحل الجنوبي. الماء الذي يفصل فرنسا عن بريطانيا في الشمال هو «بحر المانش»، فإذا عبره المرء شمالاً ونزل إلى الشاطئ البريطاني أصبح اسمه «القنال الإنجليزي». وعندما حُفر نفق تحته بين دوفر البريطانية وكاليه الفرنسية (٥٠ كم) سمى الإنجليز النفق «نفق القنال»، وسماه الفرنسيون «النفق تحت المانش». ويمر فيه سنوياً نحو ١٠ ملايين مسافر. جزيرة كورسيكا في المتوسط جزء من فرنسا. وكان نابليون بونابرت كورسيكياً، أصبح فتى وهو يتكلم الإيطالية باللهجة الكورسيكية، وماتت أمه - بعده بسنوات - وهي لا تتكلم الفرنسية. ولكورسيكا مطالب انفصالية.

بريطانيا

يضم الأرخبيل البريطاني بريطانيا العظمى (عظمى لأنها أكبر الجزر، وهو اسم جغرافي لا علاقة له بالعظمة) والقطعة الشمالية من الجزيرة الإيرلندية، وبعض جزر لها وضع قانوني خاص: جزيرة مان، وغيرنزي، وجيرزي. فعندما نسمي هذه الدولة «المملكة المتحدة» تخرج هذه الجزر من التسمية. ومثلها جزر الفوكلاند (الملفيناس) قبالة ساحل الأرجنتين، وجبل طارق في جنوب إسبانيا.

المكونات الأساسية لبريطانيا: إنجلترا، وسكوتلندا، وويلز، وإيرلندا الشمالية. وكل منها تسمى «بلداً» (كنترى) لا مقاطعة. يسعى كثيرون من السكوتلنديين إلى الانفصال، ولهم منذ سنوات حكومة وبرلمان. وفي استفتاء ٢٠١٤ قال ٥٥% من السكوتلنديين إنهم يفضلون البقاء مع بريطانيا. ويسعى الكاثوليك في إيرلندا الشمالية للانضمام إلى إيرلندا التي هي دولة مستقلة تشغل بقية الجزيرة الإيرلندية، ولكن البروتستانت في إيرلندا الشمالية يريدون البقاء ضمن بريطانيا. وقد ظلت بريطانيا وهي عضو في الاتحاد الأوروبي تحتفظ بعلمتها رافضة اليورو، وظلت تنذر من هذا الاتحاد حتى جرى استفتاء حزيران/ يونيو ٢٠١٦ وقرر فيه ٥٢% من البريطانيين الخروج من الاتحاد الأوروبي. واستقال على الأثر رئيس الوزراء ديفيد كامرون وخلفته تريزا ماي التي أكدت على أن بريطانيا ستخرج من الاتحاد الأوروبي.

إيطاليا

ليس في خريطة إيطاليا ما يلفت النظر سوى أنها ترفس كبرى جزيرتها، تلك صقلية التي حكمها العرب أكثر من ٢٥٠ سنة. والجزيرة الكبيرة الأخرى سردينيا. وقد تسأل إن كان لسلك السردين علاقة بسردينيا، نعم قد سُمي بها، وأما اسم الجزيرة نفسها فلعل له أصلاً فينيقياً. كانت إيطاليا دولة استعمارية خائبة، ودخلت الحلبة الاستعمارية متأخرة على كل حال. وتميز استعمارها لليبيا والصومال والحبشة وإرتريا بالفظافة. وهي عضو مؤسس في حلف الناتو.

ألمانيا

بعد توحيد الألمانيتين أصبحت البلاد في وضع صدارة ضمن الاتحاد الأوروبي. لكن هزيمتها في الحرب العالمية الثانية وميراث هتلر يلاحقانها، فتتميز سياستها

الخارجية بالتردد، الذي يصل حد الجبن في كل ما يتعلق بدولة إسرائيل. خسرت ألمانيا مستعمراتها بالطبع بعد الهزيمة، وخسرت مساحات من أراضيها أيضاً. لكنها كانت في القرنين التاسع عشر والعشرين قد استولت على بعض أراضي جاراتها: الألزاس واللورين من فرنسا، وأجزاء من بولندا وتشيكيا، فبعض تلك الخسارة هي مجرد إعادة الأرض لمالكها الأصليين. ليس لألمانيا مطالب حدودية. وقد كسبت مؤخراً مليون سوري في سن الشباب سيكون لهم أثر مهم في دعم بنيتها السكانية الشائخة واقتصادها، أشارت إلى ذلك المستشارة ميركل في خطاب التهئة بحلول عام ٢٠١٦.

النمسا

إمبراطورية تحولت إلى دولة. ظل الألمان يقتطعون من أرضها ومن هيبته ثلاثمئة سنة حتى احتلوها تماماً عام ١٩٣٨، احتلها ابنها النمساوي المتألّم أدولف هتلر وضمها إلى ألمانيا فيما عرف بالأنشلوس، وتحررت مع من تحرر بنهاية الحرب العالمية الثانية، ولكنها ظلت تحت وصاية الحلفاء حتى استعادت سيادتها عام ١٩٥٥.

سويسرا

هي كالأرض الـ «مظلومة»، التي لم يسبق أن حفرت أو زرعت، فلم يحتل أحد سويسرا منذ قرون، وظلت على الحياد حتى في الحربين العالميتين، وظلت خارج الاتحاد الأوروبي، غير أنها انتسبت إلى هيئة الأمم المتحدة عام ٢٠٠٢. تتكلم سويسرا الألمانية، والفرنسية، والإيطالية، ولها لغة رسمية رابعة هي الرومانش وتتكلمها أقلية ضئيلة.

هولندا

تعرف في اللغات الأوروبية بالأراضي الواطئة لأن جزءاً من أرضها أخفض من سطح البحر، وقد أقامت هولندا السدود ومنشآت الشفط المتطورة للحفاظ على هذه الأراضي، واستطاعت استعادة نحو ٢٥٠ كم^٢ من البحر في أواسط القرن العشرين. كانت لهولندا - أسوة بإنجلترا - «شركة الهند الشرقية» الاستعمارية، وكانت لها أيضاً «شركة الهند الغربية» الاستعمارية. وسيطرت هولندا في أوج العهد الاستعماري الأوروبي على إندونيسيا، وعلى أجزاء من جنوب إفريقيا، حيث ما زال جل البيض في دولة جنوب

إفريقيا يتحدثون لغة مشتقة من الهولندية، وعلى أراض على الشاطئ الهندي، وفي أميركا الجنوبية، والشمالية، قد كان اسم نيويورك «ني يو أمستردام» بضعة عقود بعد أن أسس الهولنديون مستعمرتهم هناك.

بلجيكا

دولة استعمارية سابقة عاثت فساداً في وسط إفريقيا. تتكلم بلجيكا الهولندية فالفرنسية فالألمانية، وعاصمتها بروكسل مقر الاتحاد الأوروبي.

لوكسمبورغ

من صغريات الدول. سكانها نصف مليون، ويتكلمون الفرنسية والألمانية واللوكسمبورغية. ومعدل الدخل الفردي فيها ثلاثة أضعافه في فرنسا.

تشيكيا وسلوفاكيا

نشأتا عن انفصال ودي عام ١٩٩٣ تفككت فيه تشكوسلوفاكيا التي كانت من دول الكتلة الشرقية الخاضعة للنفوذ السوفييتي.

هنغاريا

وتعرف أيضاً باسم المجر. كانت جزءاً من إمبراطورية الهابسبورغ مع النمسا. وكانت بعد ذلك من دول الكتلة الشرقية بزعامة الاتحاد السوفييتي.

رومانيا

كانت من الكتلة الشرقية. كانت ثورتها عام ١٩٨٩ الثورة العنيفة الوحيدة بين دول أوروبا الشرقية، وعندما خطب الرئيس تشاوشيسكو في الجمهور في ٢١ ديسمبر وقال لهم «فهمتكم»، أسكتوه، وبعد أربعة أيام، وفي عيد الميلاد أعدموه مع زوجته.

بلغاريا

كانت من دول الكتلة الشرقية.



ليخ فاونسا، العامل الذي قاد
النضال وأصبح رئيساً لبولندا



البابا يوحنا بولص الثاني،
البابا الذي أحدث زلزالاً سياسياً

بولندا

اشتهرت بولندا بأنها تعرضت للتقسيم مراراً عبر تاريخها. وقد كانت «حركة التضامن» العمالية فيها بزعامة ليخ فاونسا التحدي الأول الذي واجهه الاتحاد السوفييتي ضمن الكتلة الشرقية (مجموعة الدول المستقلة الشرق-أوروبية المحكومة بأحزاب شيوعية)، ولم يستطع قمعه. منذ عام ١٩٨٠، وحتى انتهاء النفوذ السوفييتي ظلت حركة التضامن عنصراً فاعلاً في السياسة البولندية، وساعدها الحضور المعنوي للبابا (الآن القديس) يوحنا بولص الثاني – أول بابا فاتيكاني بولندي الأصل – الذي زار بولندا عام ١٩٧٩ عقب تنصيبه، وكان لزيارته ما وصف بأنه أثر الزلزال في شعب كاثوليكي متدين.

ألبانيا

كانت تدور في الفلك السوفييتي بطريقتها، ولكنها الآن مرشحة للدخول في الاتحاد الأوروبي. فإن حدث فستكون أول دولة مسلمة في الاتحاد.

اليونان

شبه جزيرة تحيط بها مجموعة جزر، بعضها قريب من الساحل التركي كجزيرة ليزبوس التي اتخذها اللاجئين معبراً من تركيا إلى أوروبا. فإن لفت

نظرك اسم الجزيرة، فظنك في مكانه، من هنا جاءت تسمية السحاق باللغات الأوروبية، الأمر يعود إلى أزمة غابرة. ولليونان تعود جزيرة كريت، إقريطش عند العرب القدماء.

قبرص

جزيرة في المتوسط جعلوها أوروبية، ودخلت الاتحاد الأوروبي عام ٢٠٠٤. حدث فيها انقلاب بتدبير يوناني عام ٧٤ بغرض ضمها لليونان، فغزتها تركيا لحماية حقوق الأقلية التركية في الجزيرة. ومنذ ذلك الوقت وقبرص مقسومة ثلثاً للأتراك وثلثين لليونانيين. وقبرص اليونانية هي التي تعترف بها الأمم المتحدة. وقبرص التركية في شمال الجزيرة تعترف بها تركيا فقط. العاصمة نيقوسيا مقسومة، وثمة منطقة عازلة على طول الحدود بين الكيانين. وفي عام ٢٠١٥ بدأت محادثات إعادة التوحيد بين القبرصين.

مالطا

ثلاث جزر في المتوسط مساحتها كلها ٣٠٠ كم^٢. تقع قرب صقلية ولا تبعد كثيراً عن تونس وليبيا. وسكانها نصف مليون ويتكلمون لغة سامية قريبة من العربية التي كانت تتكلمها صقلية أيام الحكم العربي. حكم العرب مالطا نحو مئتي سنة، خربوها مرة وعمروها أخرى وأدخلوا إليها نظاماً للرّي، وتمتع السكان تحت الحكم العربي بالحرية الدينية.

سكندنافيا

مجموعة من دول شمال أوروبا: تضم فنلندا، والسويد، والنرويج، والدنمارك، وآيسلندا. فنلندا ملتصقة بروسيا ولكنها استطاعت، وبجهد، ألا تكون شيوعية، واقتطعت منها روسيا السوفيتية أرضاً خلال الحرب العالمية الثانية، ولا تطالب بها فنلندا بجدية. والدنمارك ملتصقة بشمال ألمانيا، وتتبعها جزيرة غرينلاند الشمالية، ومساحتها خمسون ضعفاً من مساحة الدنمارك نفسها وسكانها ٦٦ ألفاً فقط. وفوق الدنمارك شبه الجزيرة الاسكندنافية التي تضم السويد والنرويج. وبعيداً في المحيط الأطلسي جزيرة، ودولة، آيسلندا.



تفكك يوغوسلافيا

تفتتت يوغوسلافيا، عام ١٩٩١، إلى: صربيا، والجبل الأسود، وكرواتيا، والبوسنة والهرسك، ومقدونيا، وسلوفينيا. في الأعقاب دخلت هذه الدول في حروب تخللتها مذابح وعمليات تطهير عرقي.

صربيا

الدولة الكبرى وعاصمتها بلغراد، وقد أيدت عصابات التطهير العرقي في البوسنة والهرسك، لوجود عدد كبير من أبناء العرق الصربي في البوسنة والهرسك. وثار ضد صربيا إقليم كوسوفو الذي تقطنه غالبية ألبانية مسلمة. وبدعم أميركي عسكري، وغربي سياسي، انفصل الإقليم عام ٢٠٠٨. دون أن يتمكن من دخول الأمم المتحدة بسبب الفيتو الروسي والصيني. وهو يشكل الآن وحدة سياسية مستقلة تعترف بها العديد من الدول.

البوسنة والهرسك

في اتفاق ديتون-أوهايو ١٩٩٥، قسمت البوسنة والهرسك إلى قسمين: الجمهورية الصربية (وهي ضمن البوسنة وليست ضمن دولة صربيا)، وفدرالية البوسنة والهرسك، على أن يتعايش القسمان في دولة واحدة. وهما يفعلان ذلك منذئذ بقدر من الصعوبة وانعدام الثقة.

سلوفينيا

تقع في أقصى الشمال، وقد انضمت للاتحاد الأوروبي ولحلف شمال الأطلسي عام ٢٠٠٤.

كرواتيا

انضمت لحلف شمال الأطلسي ٢٠٠٩، وللاتحاد الأوروبي عام ٢٠١٣.

الجبل الأسود

أو مونتينغرو، تسعى للانضمام للاتحاد الأوروبي، وقد دعت عام ٢٠١٥ للانضمام لحلف شمال الأطلسي.

مقدونيا

مرشحة للانضمام لحلف شمال الأطلسي وللاتحاد الأوروبي. ولديها مشكلة في اسمها مع اليونان، ففي اليونان إقليم باسم مقدونيا يسمى أهله أنفسهم مقدونيين. وتعارض اليونان تسمية مقدونيا نفسها بهذا الاسم. النزاع مستمر حول الاسم.



أميركا الجنوبية

نسميها أميركا الجنوبية في الخرائط لأن اهتمامنا مركز على المواقع. فهي جنوبية وتلك الأخرى شمالية. ولكننا في السياق السياسي نميل إلى عبارة «أميركا اللاتينية» كي نجمع أميركا الجنوبية، والوسطى، والمكسيك

جميعاً فهذه الدول تتميز ثقافياً وسياسياً عن الدولتين الكبيرين في أمريكا الشمالية: الولايات المتحدة وكندا.

البرازيل

هي تقريباً نصف أميركا الجنوبية، وهي وحدها في هذه القارة التي تتكلم البرتغالية لغة المستعمر السابق، وكل الدول الأخرى، مع دول أميركا الوسطى والمكسيك جميعاً، تتكلم الإسبانية عدا غويانا وسورينام الصغيرتين. في البرازيل غابات كثيفة حيث يتشعب في أرضها أغزر، وثنائي أطول، نهر في العالم: الأمازون. من البرازيل نلف مع عقارب الساعة على خريطة أميركا الجنوبية..

أوروغواي

هذه هي التي على الساحل، وأما باراغواي فهي في قلب القارة. مستوى الحياة في أوروغواي أعلى بعدة أضعاف منه في شبه سميتها الداخلية مع أنها نصفها في المساحة وفي السكان. وفي الداخل أيضاً وبلا سواحل تقع بوليفيا.

الأرجنتين

تقع قبالتها جزر الماليناس (الفوكلاند) التي تديرها بريطانيا، وبسببها قامت حرب بين البلدين عام ١٩٨٢. واحتفظت بريطانيا بالجزر.

تشيلي

قطعة أرض ذاهبة طولاً. رتبت الولايات المتحدة انقلاباً عام ٧٣ أطاح بالرئيس المنتخب سلفادور أييندي واغتاله، وجاء بحكم عسكري دكتاتوري على رأسه الجنرال أوغسطو بينوشيه الذي حكم حتى ١٩٩٠، وقتل الآلاف وعذب عشرات الآلاف من خصومه السياسيين.

البيرو

دولة جبلية ساحلية.

الإكوادور

سميت كذلك لوقوعها على خط الاستواء.

كولومبيا

تتكرر الاتفاقات والنوايا الطيبة بين الحكومة والقوى اليسارية المتمردة التي تعيش على زراعة وتجارة المخدرات، ولكن واقع الحال أن مثل هذا المورد إنما تحميه كثرة المنتفعين به من فلاحين فقراء ووسطاء كبار.



هوغو تشافيز، تحدى أميركا طويلاً ومات على فراشه

فنزويلا

بلاد النفط، وهوغو تشافيز الذي توفي ٢٠١٣. وقد نجح تشافيز في تحدي الولايات المتحدة وانتهاج سياسة خارجية مخالفة لإرادتها، ومات على فراشه. واجهت فنزويلا في عهد خلفه مادورو أزمة اقتصادية خانقة بلغت حد الجوع.

غويانا

كان اسمها «غويانا البريطانية»، واستقلت ١٩٧٠. يتكلم معظم السكان الإنجليزية بلهجة خاصة لغة أولى.

سورينام

مستعمرة هولندية سابقة. استقلت عام ١٩٧٥. يتكلم معظم السكان الهولندية لغة أولى.

غويانا الفرنسية

تعتبر جزءاً لا يتجزأ من دولة فرنسا.



أميركا الوسطى

بنما

دولة القناة. وصاحب المبادرة بحفرها هو الذي حفر قناة السويس.. فرديناند دليسبس. لكنه لم يمض في التنفيذ للنهاية بسبب إفلاس الشركة، واكتشاف فضيحة رشاوى أدين فيها المهندس المشهور وعشرات آخرون. تم حفر القناة عام ١٩١٤ بعد أن دخلت الولايات المتحدة الحلبة. تعرضت بنما لغزو أميركي عندما تحسبت واشنطن من خروجها عن الطاعة، ١٩٨٩.

كوستاريكا

إحدى دول قليلة جداً في العالم لا تملك جيشاً، فبعد حرب أهلية قصيرة ألغت كوستاريكا الجيش إلغاءً عام ١٩٤٩.

السلفادور

عانت حرباً أهلية عارمة، كان لواشنطن يد طولى فيها.

نيكاراغوا

دولة الحركة الساندينية اليسارية بزعامة دانييل أورتيغا، التي تحددت إرادة واشنطن طويلًا، وحكمت البلاد من ١٩٧٩، ورتبت واشنطن حركة معادية باسم الكونترا. وعندما منع الكونغرس إدارة ريغان من دعم الكونترا بالمال، أخذت واشنطن تبيع السلاح لإيران عبر إسرائيل وتحول الأموال للكونترا (فضيحة إيران-الكونترا)، وفي الوقت نفسه كانت واشنطن تزود العراق بالسلاح والمعلومات الاستخبارية في حربه ضد إيران. أدى التدخل الأميركي ودعم الكونترا إلى اقتتال كلف ٣٠ ألف قتيل. وأخفقت واشنطن في مساعيها النيكاراغوية.

هوندوراس

علاقات طيبة مع واشنطن، مع وجود عسكري للولايات المتحدة، ونزاع حدودي مع نيكاراغوا.

غواتيمالا

شهدت بين ١٩٦٩ و١٩٩٦ حرباً أهلية تخللتها مذابح للسكان الأصليين دبرها العسكر بدعم واشنطن.

بيليزي

دويلة سكانها ثلث مليون.

المكسيك

من الأرقام يتبين أنها دولة تعيش في رخاء، معدل الدخل الفردي السنوي مرتفع، ١٩ ألف دولار، ولكن التفاوت في توزيع الثروة عال، وهذا يفسر بعض التفسير الفقر المدقع، واتجاه الكثيرين للهجرة إلى الشمال. استقلت عن إسبانيا باكراً ١٨٢١، وخاضت حروباً مع الولايات المتحدة التي استولت على جزء كبير من أراضيها، واشترت جزءاً آخر.



أميركا الشمالية

الولايات المتحدة الأمريكية

سميت القارتان الأمريكيتان باسم الرحالة الإيطالي «أميريغو فسبوتشي». واستقلت الولايات المتحدة عن إنجلترا عام 1776، بعد ثورة قادها ثم تمكن من ورائتها مجلس من الآباء المؤسسين بزعامة جورج واشنطن. وبه سميت العاصمة وإحدى الولايات. الطريف أن «ولاية» واشنطن، في أقصى الغرب، تبعد عن العاصمة واشنطن، في أقصى الشرق . . 370 كيلومتر. على أن ولاية واشنطن تضم من كبريات الشركات: أمازون، ومايكروسوفت، وبوينغ. أما «العاصمة» واشنطن فهي لا تقع في أي

ولاية، فقد اقتطعت لها أرض مساحتها ١٧٧ كم^٢ من ولايتي فرجينيا وميريلاند المتجاورتين، باسم مقاطعة كولومبيا. ولذا يفرق اسمها عادة بحرفي دي سي، أي (دستريكت أوف كولومبيا/ مقاطعة كولومبيا) تمييزاً لها عن واشنطن الولاية.

تعجلت الولايات المتحدة زوال الإمبراطوريات التقليدية بعد الحرب العالمية الثانية، واخذت تحت بريطانيا وفرنسا على التخلص من مستعمراتها، وصاغت أميركا مفهوماً جديداً لإمبراطوريتها: إمبراطورية قائمة على «النفوذ»، لا على الاحتلال الدائم. فإن احتلت بلداً فهي تسرع إلى تركها مخلفة نظام حكم فيها يأتمر بأمرها. وكانت قد صكت باكراً مبدأ مونرو، ١٨٢٣، الذي يقضي بأن لا يُسمح لدولة أخرى بالتدخل في أميركا الشمالية ولا الجنوبية.

قامت الولايات المتحدة على مبدأ اغتصاب الأرض خارج حدود أي قانون، مبدأ الكابوي. فقد تأسست أصلاً من ١٣ ولاية في الشرق، عدد الشروط في علمها، ثم أطلقت مغامريها غرباً يقتلون ويؤسسون الولايات، واشترت أراضي من فرنسا، والمكسيك، وإسبانيا، وروسيا، وعندما اكتملت خمسين ولاية، بعدد النجوم في علمها، بدأت تلقي على العالم المواعظ.

تمتع الولايات المتحدة بديناميكية اقتصادية كبيرة، وقد نجحت في الحفاظ على مفاهيم سياسية مهمة، كتحديد ولاية كل رئيس، وكتكبير يدي الرئيس في كثير من القرارات باشتراك موافقة الكونغرس. وتتميز انتخاباتها الرئاسية، والتشريعية أيضاً، بسعي المرشح إلى الظهور بمظهر الكابوي القوي المهيمن البذيء.

لغة الولايات المتحدة الإنجليزية، وفيها ٤٠ مليوناً يتحدثون الإسبانية في منازلهم من أصل ٣٤٥ مليوناً هم عدد سكانها. وهي عاصمة «الصناعة» السينمائية، وعاصمة الكمبيوتر في العالم. مساحتها ٩ ملايين كم^٢. الرابعة في العالم بعد روسيا فكندا فالصين.

يصادف الصحفي في تغطية الأخبار الأميركية الأعاصير، ولا تسمى الظاهرة إعصاراً إلا إن تجاوزت سرعة الريح الدوامية ٧٢ ميلاً في الساعة، والإعصار هو نفسه التايفون، كما يسمى في شرق آسيا، وهو نفسه السايكلون. فإن كانت سرعته دون ذلك فهو فقط عاصفة. ويستعمل الصحفيون تعبير «في عين العاصفة» قاصدين وسط خضم كبير من المشكلات والأزمات. والواقع أن عين العاصفة، أي منطقة المركز فيها، تكون هادئة راکدة. والتعبير الإنجليزي «في عين العاصفة» يُقصد به في منطقة هدوء وسكينة لكنها محاطة بالأزمات.

القطب الوحيد

تعود العالم أن يكون ذا قطبين، فلما انهار الاتحاد السوفييتي أخذ العالم يبحث عن قطب يوازن الولايات المتحدة. مثلما أن هناك ميزاناً بكفتين هناك أيضاً ميزان المطبخ ذو الكفة الواحدة. ومثلما عرف العالم عدة إمبراطوريات متنافسة ثم إمبراطوريتين، فلن يصعب على من يملك قليلاً من الخيال أن يرى العالم يدور حول قطب واحد. بتحديد الأسلحة النووية - فهي أسلحة ردع لا قتال، وهي كلسعة النحلة تستعمل مرة واحدة، ثم الخراب - فإن الولايات المتحدة تملك قوة عسكرية توازن كل ما يملكه الآخرون في العالم. وهي تطل على محيطين إطلالة مفتوحة مع موانئ تموين على الشاطئين، وفي كل بحر وكل محيط آخر، هذا إلى قواعد عسكرية في مئة وثلاثين دولة، وإلى منظومة من الأخلاق السياسية يسهل ضمنها التحول من حال التهذيب الحضاري إلى حال الشراسة والنفعية السافرة في رمشة عين. لا يضير الولايات المتحدة أن تزود طرفي أي نزاع بالسلح والمعلومات، ولا تجد مشكلة في أن تقوم بدور الشرطي حيناً والناصح غير الأمين حيناً. وهي تملك حيوية إمبراطورية في أوج ازدهارها. يرفدها في هذا بالطبع اقتصاد هو الأكبر في العالم، وتقدم علمي وتقني لا يبارى، ليس أن الأرض الأميركية أقدر على توليد العلم من غيرها، ولكن الولايات المتحدة تستقطب الخبرات، وتستطيع الاحتفاظ بها.

بهذه الصفة تنظم أميركا أحلافها، وتنظم لغيرها أحلافهم. وتملك أن ترتكب أخطاء جسيمة ثم لا يؤودها أن تدفع الثمن. وهي كالتاجر الثري فهو يكسب كثيراً إن كسب، ويكسب قليلاً إن خسر. كسبت أميركا في حرب فيتنام قليلاً، وفي غزو العراق قليلاً، وهي تكسب في أفغانستان أيضاً. المسألة لا تقاس بانتصار واضح المعالم، ولا تبحث واشنطن عن انتصار كهذا. هي تدير العالم، ولا تحاربه.

وخير ما يأمله الآخرون في ظل عالم القطب الوحيد أن يحسنوا التفاعل مع واشنطن بحيث يضمنوا لأنفسهم أفضل صفقة ممكنة. وبالطبع سيظل الآخرون جميعاً يكرهون أميركا ويحترمونها ويحاولون تلمس طريق لبناء حلف مع غيرها لا قبل لها بأن تشقه.

يتخيل المتنبئ الاستراتيجي الأميركي جورج فريدمان أن حلفاً كهذا سيقوم بين تركيا واليابان بعد ثلاثين سنة، وأن الولايات المتحدة ستحاربه وتقسم ظهره. ولا نشك في أن إمبراطورية عربية تطل على المحيطين الهندي والأطلسي قادرة على أن تشكل ثقلاً مهماً، لكن هذا قد يكون من

تنبؤات القرن الثاني والعشرين لا قبل. ومن تنبؤات فريدمان الأخرى أن من سيقف حقاً في وجه أميركا هو المكسيك، لكن بعد ثمانين سنة.

كندا

مساحتها نحو ١٠ ملايين كم^٢، الثانية في العالم بعد روسيا. سياسياً تتعقب خطى الولايات المتحدة، وبينهما - قالت الويكيبيديا - أطول حدود «غير محروسة» في العالم. غير أن لكندا خصوصيات سياسية، فهي إسمياً تتبع التاج البريطاني، وقد أقامت علاقات مع كوبا أيام القطيعة بين واشنطن وهافانا، ورفضت المشاركة في غزو العراق. ومن خصوصياتها أن ٢٠٪ من سكانها يتحدثون الفرنسية لغةً أمّاً ويتركزون في كويبك، ويسعى كثيرون منهم إلى الانفصال، وتُعقد بين الحين والحين الاستفتاءات على ذلك. معظم مساحة كندا «ضائعة» في الشمال المغطى بالثلوج على مدار العام، وسكانها نحو عُشر سكان الولايات المتحدة. ورقة الشجر التي على علم كندا هي ورقة شجرة الميبل، المسماة بالعربية «القَيْقُب» والمسمى شراب ثمارها الإسفندان.

كوبا

جزيرة في الكاريبي لها شكل البنكرياس، وقد لبثت شوكة في خاصرة الولايات المتحدة ٥٦ سنة إلى أن أقيمت علاقات دبلوماسية بين البلدين ٢٠١٥. ولئن كان البنكرياس يحرق السكر فإن كوبا كانت حتى عهد قريب أكبر منتج للسكر في العالم. تطالب كوبا باستمرار باسترجاع منطقة خليج غوانتانامو، وهي قطعة أرض صغيرة في أقصى شرق كوبا، من تحت، كانت استولت عليها الولايات المتحدة عام ١٩٠٤، ثم اتخذتها حزام تعذيب لمن تريد سجنهم وتعذيبهم دون محاكمة. وأعلن الرئيس الأميركي إغلاق معسكر غوانتانامو في مطلع ٢٠١٦، وقام بزيارة تاريخية لكوبا بالتزامن مع إنشاء علاقات دبلوماسية في ٢٠ مارس ٢٠١٦.



فيدل كاسترو، قارع أميركا ٥٦ سنة، توفي عام ٢٠١٦، وترك كوبا لأخيه

